

وصف الحبيب

محمد لمن يحب

تأليف

سامح محمد البلاح

## الإهداء

**إلى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أهدي هذه الصفحات**

**عطرًا من شذاه..**

**وغيثًا من نداه**

**علَّها تلقى القبول حين نلقاه.**

وأنى لمثلي أن يصور لمحة = كبا دون أدنى وصفها الشعراء

ولكنها جُهد المحبِّ فهل لها = بقدسك من حظ القبول لقاء

## المقدمة

**كم طاف بي خيالٌ تملَّكني، وشوَّقني إلى رؤية الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، فأنهض متلهِّفًا، وأنكب على كتب الشمائل والأخلاق المحمدية، أتلمس ذكره، وأمتِّع عيني بوصفه، حتى أسترسل مع الخيال فأتخيَّله، وأرجع البصر في الصحائف النبوية، وأتتبع ملامح الصورة فأتصوره، فألمح نورًا يفيض بين جنبات المكان، وكأن قطعة من الشمس هبطت إلى الأرض، غمر نورها النفس، فامتلأت بالصفاء والنقاء.**

**وقد تأخذني سِنَة من النوم، فأرى كأني بين ديار المدينة المنورة؛ علِّي أراه بين ربوعها متفقدًا أصحابه، أو ألقاه بين فجاجها متعبدًا ربَّه، أو آنس طيفًا من ضيائه، فأسير في إثره حتى أصل إلى مستقره، وإن لم أنل هذا أو ذاك، أنطلق فأبحث عن أم معبد؛ لتقص لي أثره، وتذكر لي وصفه.**

**وحين أصحو، ألمس في نفسي رغبة ملحَّة في الكتابة عنه صلى الله عليه وسلم، ومع إلحاح هذه الرغبة لم أقدِّر لها أن تخرج إلى النور يومًا من الأيام، إلا أن صفحة الأقدار كانت تخفي لي ما منيته ولم يطلع عليه أحد سواي، فلبَّيْت تلك الرغبة، إلا أنها كانت مشوبة بالخوف والحذر؛ لأن المقام مقام هيبة وعظمة، ولا سيما حين تكون الكتابة عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم.**

**وحين أخذ القلم يسبح في بحر الشمائل المحمديَّة، كان الخوف والحذر قد بلغا مبلغهما؛ لأني خشيت أن أغفل وصفًا من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، فأُتَّهم بالتقصير في حقه صلى الله عليه وسلم، أو أزيد في أوصافه ما ليس فيه، ولم يثبت في صحيح الأوصاف، فيكون ذلك زلة لا أدري المخرج منها، إلا أن يتداركني الله تعالى برحمته.**

**وليس في وسعي قبل أن ألج الباب إلا أن أقدِّم بين يديّ اعتذاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنى لمثلي أن يصف مثله! فما أنا بالوصَّاف الماهر، ولا النعَّات الحاذق، وإن مُكِّنت من هذا، فما عندي من فصاحة البيان، ولا بلاغة الأسلوب والتبيان ما أستطيع معه أن أوفي الرسول صلى الله عليه وسلم حقه. ثم أثنِّي اعتذاري باستئذاني منه أن أنال هذا الشرف الرفيع.**

**وقد يتعجب البعض ويتساءل: أنى لك أن تنال هذا الشرف، وتحظى بتلك المكانة، وأنت لم تر الرسول صلى الله عليه وسلم في يقظة ولا منام! فقد باعد القدر المحتوم بين زمانك وزمانه، وحَرَمَتْك الذنوب من رؤيته في المنام، فأنى لك أن تصفه؟! إن أولى الناس بوصفه مَن عاشوا معه، ورآهم ورأوه، وتحدث إليهم وتحدثوا إليه، ثم مَنْ مَنَّ الله سبحانه وتعالى عليهم برؤيته في منامهم، وأنت لست من هؤلاء ولا أولئك.**

**قلت: إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم حقًّا هم أولى الناس بوصفه؛ لأنهم كما نقلوا إلينا أحاديثه، وأهدوا إلينا سنته، نقل إلينا بعضهم وصفه ونعته، وتحدثوا عن خلائقه وشمائله، فمهمتي هنا أن أنقل أحاديث وصفه كما نقلوها، وأقيِّدها كما ذكروها، لا زيادة فيها ولا نقصان، وحسبي من هذا الشرف الكبير أن أفصح عن غريب الألفاظ، وأشرح ما غمض من الأساليب والعبارات، علَّ الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.**

**بين يدي وصفه:**

**قبل أن نلج إلى الروضة النبوية المباركة، وننال شرف الصحبة الميمونة المطهَّرة، نضع بين يدي هذا الوصف الكريم مجموعة من الأمور المهمة، التي نفهم من خلالها هذا الوصف الشريف، وهي:**

**الأمر الأول:**

**أن العرب أهل فصاحة وبيان، عرجوا في منازل البلاغة، وارتقوا إلى ذُرى الفصاحة، واستوى في ذلك رجالهم ونساؤهم، ولقد كانوا في الوصف لا يُبَارَون، يرسمون باللسان ما تعجز عن رسمه الألوان، ويقفون على دقائق الأمور وخبايا النفوس، ويلمسون عن قرب صورة الموصوف، فيحيطون بأبعادها وحدودها من أول وهلة، فتنطبع تلك الصورة بمجرد الرؤية في حافظتهم، على حالتها التي رأوها عليها. ثم إذا طُلب إليهم وصف، أو سُئلوا نعتًا، راحوا يستحضرون الصورة أمام أعينهم، فيصفون من خلالها، وكأنهم يرون صاحبها رأي العين، أو كأن شخصه ماثل بينهم، لا ينقصه إلا روحه، ولا يفارقه من هيئته إلا بمقدار تباعد الزمان بين التقاط صورته وتخزينها في الذاكرة، وبين استحضار الصورة وامتثالها.**

**وهذه المقدرة العجيبة كانوا يتفاوتون فيها تفاوتًا، لا يعدو أن يكون كتفاوت آلات التصوير من حيث جودة الصورة، ومدى مطابقتها لصاحبها.**

**وإذا كان من المعلوم أن أداة التصوير واحدة عند العرب جميعًا، لا تميُّز لأحد فيها على أحد، إلا بمقدار قدرة صاحبها على استعمالها وإتقان استخدامها، وإذا توافرت هذه القدرة وذلك الإتقان، لا يبقى إلا وقع صاحب الصورة في نفس من يصوِّره، ومدى تأثُّره به، وانفعاله بصورته، فالواحد منا قد يرى الشخص لأول مرة، فإذا ما فارقه فإنه يفتش في ذاكرته عن ملمح من ملامحه، يستدني به صورته، ويقرب به هيئته، فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، إلا أن هناك مَن له في القلوب مكان يتبوءه من أول وهلة، ومَن ملك النفوس وتمكَّن منها بمجرد رؤيته، بما يتسم به من حسن الصورة، وبهاء الطلعة، وجمال الهيئة، واتساق الخلق فإنه يجذب النفوس إليه بمقومات الجمال تلك بلا فتنة، فإذا زيد إلى هذا طهارة السيرة، ونقاء السريرة، وسمو الأخلاق، ونبالة الطباع، وحسن الشيم، كان له في القلوب فعل عجيب، فتنبعث منه إشارات نورانية، وإشعاعات روحانية يتلقاها الرائي، فتتفجر فيه رغبة عارمة في ألا تفارق هذه الإشعاعات عينيه، ولكن ليس له إلى ذلك سبيل، إلا أنه لا يفقد الأمل، وخاصة أن الصورة قد انطبعت واستقرت في المخيلة، فيسترجعها بعد الفراق؛ ليستدني صاحبه ويستحضره.**

**وهذا بالفعل كان حال الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل واحد منهم انفعل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه، فكان له وصف دقيق للنبي صلى الله عليه وسلم، أو إن شئت قلت: لقطة لصورته وحاله، فهذا يلتقط صورة له على حالة معينة وفي وقت معين، وهذا يلتقط له أخرى في حالة أخرى ووقت آخر، وثالث.. ورابع.. فيصف كل واحد منهم تلك اللقطة على تلك الحالة في ذلك الوقت.. وهكذا تتعدد اللقطات والمشاهد، وليس هناك تباين في جوهرها.**

**أما الاختلاف الظاهري الطفيف بين هذه اللقطات، فيرجع إلى اختلاف الحالات والأوقات وتعددها، إلا أن هناك قاسمًا مشتركًا تلتقي فيه كل هذه اللقطات جميعها، ومن هنا، يمكن الجمع بين اختلاف الروايات، التي يبدو من ظاهرها التعارض، بيد أن هذا التعارض لا يلبث أن يزول إذا خرجت من هذا المخرج، ومثل ذلك يتحقق في الروايات المتعارضة ظاهرًا، في طول شعره، وصفة حاجبيه، وأنفه صلى الله عليه وسلم.**

**يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله: "رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عند ربه بالمكان الذي نعرفه له، وهو عند المؤمنين به بالمكان الذي يرضى الله عن وجوده في نفوس من آمن به، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يتكلم المنصفون عن صفاته الخَلْقية، إنما يتكلمون عن صدى ما استمالتهم صورته صلى الله عليه وسلم استمالة كانت قيد الناظر إليه؛ أي إن الناظر إليه كان يقيده كل حسن فيه، وما ذلك إلا لأن الطاقة الحُبِّيَّة والطاقة القلبية لا تجعلان لناظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معدى عن استدامة النظر إليه، والنظر إليه يعطي إشعاعات اليقين، ويعطي إشعاعات الإيمان، والدليل على ذلك أن مَن رآه صلى الله عليه وسلم كان صحابيًّا، ومعنى ذلك أن للرؤية الذاتية تأثيرًا في كيان المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكون الواصفين له يدققون الوصف له في أدق الأشياء، يدل على أنهم لم يَفُتْهُم شيء من صفاته صلى الله عليه وسلم، وإن اختلف الواصفون في شيء فإنما هو اختلاف اللقطات، أو اختلاف التعبير عن اللقطات. فآلات التصوير - على سبيل المثال - حينما تصوِّر إنسانًا، فعلى قدرة جودة الآلة، وعلى قدر قدرة ومهارة مَن يستعمل هذه الآلة تخرج الصورة طبق الأصل، لكن الواصفين على كل حال يلتقون على أشياء، هذه الأشياء تميزه صلى الله عليه وسلم ببنية كاملة متكاملة، بحيث يكون للقلب منه غذاء، وللعين منه غذاء، وللأذن منه غذاء". محمد متولي الشعراوي، الشمائل المحمدية، ص3.**

**الأمر الثاني:**

**والأمر الثاني الذي نريد أن نشير إليه، هو أن البشر متفاوتون من ناحية الجمال والكمال، أقصد جمال الصورة وحسنها، وكمال الأخلاق وتمامها، فهناك من حُبِيَ الصورة الحسنة والمنظر الوسيم، بيد أنه لا خلاق له من سمو الخلق، وعلو الشيم، وهناك من قلَّت مسحة جماله، ونقص حظه من روعة المنظر وحسن الصورة، إلا أن ذلك أخفاه كرمُ الشمائل ونبلُ الطباع، وهناك مَن لا نصيب له في هذا ولا ذاك، وآخر هذه القسمة الإلهية الحكيمة مَن حسُن منظره، وخلص جوهره، واتسق خَلقه، وكمل خُلقه، فهذا قد جلس على عرش الجمال والكمال، ولبس تاج الجلال، وهذا الصنف الأخير لا يمثله بين البشر إلا سيدهم جميعًا؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومِن بعده الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام.**

**يقول الشيخ محمد الخضري رحمه الله: "فاعلم - أرشدني الله وإياك، وهدانا للصراط السوي - أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي، اقتضته الجِبلَّة وضرورة الحياة، ومكتسبٌ ديني: وهو ما يُحمد فاعله ويُقَرِّبُ إلى الله زلفى.**

**فأما الضروري: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلَّته صلى الله عليه وسلم من كمال الخِلْقة، وجمال الصورة، وقوة العقل، وصحة الفَهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس والأعضاء، واعتدال الحركات، وشرف النسب، وعِزَّة القوم، وكرم الأرض، ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة إليه؛ من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه.**

**أما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العليَّة، والآداب الشرعية؛ من الدين والعلم والحِلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفَّة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحُسن الأدب والمعاشرة وأخواتها، وهي التي يجمعها حُسن الخُلق". محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين 1/ 282.**

**الأمر الثالث:**

**أمر أخير نضعه بين يدي هذا الوصف، وهو أن المسلم في حاجة إلى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم حق المعرفة؛ لأنه مأمور بالاقتداء والتأسي به، فكل الطرق إلى الله سبحانه وتعالى موصودة إلا طريقه صلى الله عليه وسلم، ولن يصل المسلم إلى رضا ربه سبحانه وتعالى إلا من خلال الدخول تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، فتأتي أفعاله وأقواله وكل سلوكه، موافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.**

**وقد قسَّم العلماء أفعال النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدة أقسام؛ حتى يكون المسلم على علم بما يقتدي بالرسول فيه، يقول الشوكاني رحمه الله في إرشاد الفحول: "اعلم أن أفعاله صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى:**

**1- هواجس النفس والحركات البشرية؛ كتصرف الأعضاء، وحركات الجسد، فهذا الأمر لا يتعلق به أمر اتباع، ولا نهي.**

**2- ما لا يتعلق بالعبادات ووضع فيه أمر الجبلَّة؛ كالقيام والقعود ونحوهما، فليس فيه تأسٍّ، ولا به اقتداء، ولكنه يدل على الإباحة عند الجمهور.**

**3- ما احتمل أن يخرج عن الجبلَّة إلى التشريع بمواظبته عليه، على وجه معروف، وهيئة مخصوصة؛ كالأكل والشرب واللبس والنوم، وخصوصًا إذا وقع فيه الإرشاد إلى بعض هيئات الأكل أو الشرب أو اللباس أو النوم.**

**4- ما عُلِمَ اختصاصه به صلى الله عليه وسلم كالوصال في الصيام، والزيادة على أربع في الزواج، فهو خاص به لا يشاركه به غيره". الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ج1 ص73، 74.**

**وفي هذا الوصف جملة من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وهديه في اللباس والزينة والأكل والشرب والنوم والمشي.. إلى غير ذلك مما ينبغي للمسلم أن يقتدي بالرسول فيه، ويتأسى به؛ حتى يكون ممن قال الله تعالى فيهم: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا" [الأحزاب: 21].**

**قطرات من بحر وصفه**

**ستتواتر القطرات هنا بما يشبع في النفس شوقها إلى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وبما يتفق مع ما صحَّ من أوصافه صلى الله عليه وسلم، فلتتهيأ الأذهان والأفهام لتتلقى هذه القطرات العذبة، التي ستحلو بها النفس، ويصفو بها القلب بوقعها عند متلقيها.**

**وهاك القطرات التي ضاق المقام عن أن نغترف أكثر منها، فقد وضعنا أيدينا في بحر وصفه صلى الله عليه وسلم، فخرجت بأربع قطرات عِذاب، أُجْمِل فيها وصفه إجمالاً بما اقتضته ضرورات الفصاحة والبلاغة.**

## القطرة الأولى: وصف أم مَعْبَد:

**هذا الوصف فاض ذكره بين العلماء، وانتشر خبره بينهم، وهو مروي في كتبهم، فقد رواه زمرة من الحفَّاظ، من رواية حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه، عن جده صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخرجه القتيبي عن سليمان بن الحكم، بإسناده عن هشام بن حبيش. ورُوِيَ من طرق أخرى كثيرة، وقد أُخرج - أيضًا - عن أبي معبد نفسه، وعنه عن أم معبد، وأُخرج عن أسماء بنت أبي بكر وأبي سليط الأنصاري رضي الله عنهم.**

**وأم معبد هذه صحابية جليلة، اسمها عاتكة بنت خالد بن خليد الخزاعية، وكنيت بابنها مَعْبَد، أما زوجها أبو معبد فقيل: إن اسمه أكثم بن الجون. وقد ترجم ابن عبد البر وابن حجر لأبي معبد، بيد أنهما لم يسمياه، وقد ترجما لأكثم بن الجون، ولم يذكرا أنه أبو معبد. انظر: الإصابة 1/ 61، 7/ 177، وانظر أيضًا: الاستيعاب ص141.**

**وهذا الوصف الذي ذكرته أم معبد وصف جامع شامل، حوى من صفات الجمال ما يليق بالمصطفى صلى الله عليه وسلم، وينسب إليه من جمال الرجولة العربية ما هو حقيق به، وسط مَن تفاخروا بصفاتهم ومحاسنهم، وهم لم يبلغوا - ولن يبلغوا - الدرجة التي استوى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم لديهم صورة مثالية للجمال العربي مُجمع عليها فيما بينهم، كل عنصر فيها يمثل غاية الجمال الذي تعارفوا عليه. فكانوا يحمدون الرجال والنساء بهذه الصفات الجمالية، ويدور عليها مدحهم وذمهم، وما كان لله تعالى أن يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم بين قوم يتمادحون بتلك الصفات، ولا يكون له النصيب الأكبر منها.**

**ولقد أصابت أم معبد وأجادت؛ أصابت من جهة فصاحتها، كغيرها من لدَّاتها اللاتي جمعن أدوات البيان والتبيان، وأجادت من جهة لمسها الصفات الخَلقية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم من أول وهلة رأته فيها، فكأنها أمسكت بين يديها آلة تصوير والتقطت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقطة حية، ووصفته لزوجها من خلالها.**

**وإني لأعجب لتلك المرأة التي لم يلبث الرسول صلى الله عليه وسلم عندها إلا يسيرًا، كيف استطاعت في هذا الوقت اليسير أن تلمَّ بعناصر الصورة الشريفة ومكوناتها، فتخرج وصفًا دقيقًا، ينطبق على الموصوف انطباق الصورة الضوئية على صاحبها؟! ولعل هذه الدقة تُعزى إلى جودة الآلة التي استعملتها أم معبد، وهي آلة كان العرب لا يُبارون فيها؛ وهي الفصاحة والبلاغة في فن الوصف، حتى إن بعضهم - ومنهم أم معبد، وهند بن أبي هالة، وغيرهما ممن وصف النبي صلى الله عليه وسلم - كانوا معروفين بكمال وصفهم ودقة نعتهم.**

**وأمر آخر يمكن أن يُعزى إليه إجادة أم معبد وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أنه صلى الله عليه وسلم عندما كان يقف أصحابه بين يديه أو يتحدثون إليه، لا يلبث النور المحمدي يفيض، فيعم الأرجاء ويمحو من نفوسهم الظلام الدامس، فتنطبع في قلوبهم صورته الشريفة، لا تفارق عيونهم، ولا تبرح خيالهم، فيتمثلونها في كل وقت وحين، عندما يغيب صلى الله عليه وسلم عنهم، أو يغيبون عنه.**

**كما أن شعاع صورته البهية إذا طالعته عين مَن يجلس إليه لأول مرة، تجده تنزل في مخيلة جليسه منزلة سامية، تلحُّ على عقله وقلبه عندما تتفارق الأبدان، فيستحضر صورته ويتمثل هيئته، وكأنه رآه منذ زمن طويل.**

**فَهَاكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوصفه يقع في النفس موقع قطرات الماء الفرات عندما يصادف النفوس الظمأى، ستجد الصفات كلها صفات مَن بلغ منزلة سامقة في الجمال والجلال، لا تضارعها منزلة، ولا يسمو إليها أحد من البشر، وهي كلها تدور في فلك بشري لا تدور معها صفات أحد من البشر؛ لأنها بلغت درجة الكمال البشري.**

**يُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ومولاه عامر بن فهيرة، ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط خرجوا من مكة، ومرُّوا على خيمة امرأة عجوز تسمى أم معبد، وكانت برزة جلدة، جلدة: صلبة. تحتبي الاحْتبَاء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها, وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب. بفناء القبة، القبة: الخيمة الصغيرة أعلاها مستدير, أو البناء المستدير المقوس المجوف. ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا، وكان القوم مرمِلِين مرمِلِين: نفد زادهم. مسنتين مسنتين: داخلين في السَّنَة؛ وهي الجدب والمجاعة. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: "ما هذه الشاة يا أم معبد؟". قالت: شاة خلَّفها الجهد عن الغنم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل بها من لبن؟". قالت: هي أجهد من ذلك. قال: "أتأذنين أن أحلبها؟". قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسح بيده ضرعها، الضرع في البهائم وذوات الخف كالثدي في المرأة. وسمَّى الله - جل ثناؤه - ثم دعا لأم معبد في شاتها، فتفاجَّت عليه تفاجَّت: وسَّعت ما بين رجليها، وباعدت إحداهما عن الأخرى، وهذا هو سلوك الشاة عند الحلب. ودرَّت درَّت: صبت اللبن. واجترَّت اجترَّت: أخرجت الجرة من جوفها إلى فمها لتمضغها، وهذا الفعل يقع من الإبل والغنم الممتلئتين علفًا. فهذه الشاة صارت تجتر مع ما هي فيه من ضعف وجهد. فدعا بإناء يربض الرهط، يربض الرهط: يروِيهم شربه حتى يقعوا على الأرض من ثقلهم، فيربضوا كما تَربِض الغنم على الأرض إذا شبعت ونامت. والرهط: لا واحد له من لفظه، وهو من الثلاثة إلى العشرة. ويُروى: بإناء يُريض الرهط. يُريض: يرويهم بعض الري. والرَّوْض نحو نصف قربة. وأراض الحوض: إذا صب فيه من الماء ما يواري أرضه. وقيل: هو مأخوذ من الروضة، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماء، ومنه قوله في هذا الحديث: فشربوا حتى أراضوا علَلاً بعد نَهَل. أي: ارتووا من الشرب مرة بعد مرة، فالنهل هو الشرب الأول، والعلل هو الشرب الثاني. فحلب فيه ثجًّا، أي: كان لبن الشاة يسيل من ضرعها كالتي امتلأت لبنًا وسمنًا. حتى علاه البهاء، أي: بريق رغوة اللبن بعد امتلاء الإناء. وأصل البهاء الحسن والنضارة. ويُرْوى: حتى علاه الثُّمال. والثمال: جمع ثمالة، وهي رغوة الحليب. ثم سقاها حتى رَوِيت، وسقى أصحابه حتى رَوَوْا، ثم شرب آخرهم، ثم أراضوا عَلَلاً بعد نهل، ثم حلب فيه ثانيًا بعد بدء، بعد أي: بعد الحلبة الأولى. حتى ملأ الإناء ثم غادره أي: تركه. عندها، ثم بايعها، وارتحلوا عنها. فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد، يسوق أعنزًا عجافًا، تَشارَكْن هُزْلاً تَشارَكْن هُزْلاً: شملهن الهزال، فكأنهن اشتركن فيه. ويُروى: تَساوَكْنَ هُزلاً. أي: يمشين مشيًا ضعيفًا. والتساوك هو التمايل من الضعف والهزال. ورُوِي أيضًا: يتتارَكْنَ هزلاً. أي: يترك بعضهن بعضًا، ومن شدة ما هي فيه من الضعف تتخلف بعضهن عن بعض. وفي رواية أخرى: تساوقن هزلاً. أي: يسوق بعضها بعضًا، ويتأخر عنه. ضحًا مخهن قليل، قال أبو موسى الحافظ الأصفهاني: هذه اللفظة كانت تنبو عن قلبي، فإن وقوعها بين صفات الغنم بعيد، وكان يغلب على ظني أنه تصحيف، ومن الرواة من أسقطها من الحديث، حتى وجدت الحافظ أبا أحمد العسال رواه في معجمه بإسناده، فقال: يتتاركن هزلاً مخاخهن قليل. ولا أظن الصحيح إلا كما رواه. والمخاخ جمع المخ، كالحِباب في الحُب، فيكون قد صحفت "مخًّا" بضحًا، ويدل عليه أنه مكتوب في أكثر النسخ بالألف. ومما يبطل ضحًا أنهم كانوا عندها في القائلة، يقول الهاتف: رفيقين قالا خيمتي أم معبد. وزوجها إنما جاء بعد مسيرهم، فكيف يكون مجيئه ضحًا؟! فلما أن رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب أي: بعيد. حيال حيال: جمع حائل، وهي الشاة التي لم تحمل، فلا يكون بها لبن. ورُوِي حيَّل. حيَّل: جمع حائل أيضًا. ولا حلوب؟! الحلوب: الشاة التي تحلب. وُرِوي: ولا حلوبة في البيت. فقالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا، فقال أبو معبد: صِفِيه لي يا أم معبد. فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أي: الحسن والجمال. متبلج الوجه، الأبلج الوجه والمتبلج: الحسن المشرق المضيء. ولم ترد به بلج الحواجب أي: البياض بين الحاجبين؛ لأنها وصفته بأنه أقرن. حسن الخلق، لم تعبه ثُجْلة، الثُّجلة: عِظَم البطن مع استرخاء أسفله. وفي رواية بالنون والحاء المهملة (نُحْلَة)، النحول: الدقة وضعف التركيب. بيد أنهم لم يستعملوا النُّحْلة بمعنى النحول. وفي رواية أخرى: (لم تعْلُه) بدلاً من (لم تعِبه). أي: لم تغلب عليه حتى عرف بها. ولم تُزْرِ الإزراء: التهاون بالشيء والاحتقار له. به صُقْلَة، الصُّقْلَة: طول الصُّقْل، وهو الخَصْر ومنقطع الأضلاع من الخاصرة. وقيل: ضمره وقلة لحمه، من قولهم: صقلت الناقة إذا أضمرتها بالسير. ويُروى سُقْلَة بالسين المهملة، وهما بنفس المعنى، على إبدال الصاد سينًا؛ لأجل القاف. وفي رواية أخرى: صُعْلَة، الصُّعلة: صغر الرأس. وقد تكون الصُّعْلَة الدقة في البدن والنحول. والمعنى أنه ليس بعظيم البطن، ولا منتفخ الخصر، ولا ضامره جدًّا، ولا صغير الرأس، فلا عيب في صفة من صفاته، ولا ينسب إليه عيب صلى الله عليه وسلم. وسيمًا قسيمًا، القسيم: الحسن القِسْمَة وهو الوجه. وقيل: هو من القسام، أي: الجمال. ورجل مقسَّم الوجه وقسيم الوجه، كأن كل موضع فيه قد أخذ من الحسن والجمال قِسْمًا، فهو كله جميل، لم يكن فيه ما يُستقبَح. في عينيه دعج، الدعج: شدة سواد حدقة العين مع اتساعها. وفي أشفاره الأشفار: حروف الأجفان التي ينبت عليها شعر الحاجبين. غطف، الغَطَف: يروى بالغين ويريد به الطول، وأصله من الغَطَف وهو: سعة العيش. ويروى بالعين المهملة (عَطَف): وهو انعطاف شعر الأجفان لطولها. ويروى بالواو: (وَطَف): وهو كثرة شعر العين واسترخائه، فاشتركت الروايات الثلاث في طول شعر الأجفان. والمشهور من هذه الروايات، رواية الغين المعجمة، وأرادت بالأشفار شعر الأشفار. وفي صوته صَحَل، الصَّحَل: صوت فيه بُحَّة وغِلَظ، لا يبلغ أن يكون جُشَّة، وهو يستحسن؛ لخلوه من الحدة المؤذية للسمع. ويُروى: صَهَل بالهاء، من الصهيل، وهو صوت الفرس، عندما يصهَل بشدة وقوة. وفي عنقه سَطَع، السَّطَع: طول العنق، وأصله من سطوع النار، بمعنى ارتفاع لهيبها. وفي لحيته كثافة، الكثافة في الشعر: اجتماعه والتفافه وكثرته. ويُروى: كثاثة. الكثافة والكثاثة بمعنى واحد. أزج أقرن، الأزج: المتقوس الحاجبين في طول وامتداد. والأقرن: المتصل رأسي حاجبيه. إن صمت فعليه الوقار، الوقار: الرزانة والحلم والهيبة. وإن تكلم سما وعلاه البهاءُ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، الفصل: البَيِّن الظاهر، الذي يَفْصِل بين الحقّ والباطل. لا نَزْر ولا هَذْر، كأن منطقه خرزات الخرز: حبات تنظم في عقد تضعه المرأة في رقبتها لتتزين به. نظم يتحدَّرن، رَبْعة، الرَّبْعَة من الرجال: ما بين الطويل والقصير. وكان ميله إلى جانب الطول أكثر من ميله إلى جانب القصر، فلم يكن في حد الربعة غير متجاوز له، فجعل ذلك القَدْر من تجاوز حد الربعة عدم اليأس من بعض الطول. ويُرْوَى: لا يائس من طول بمعنى آيس، وهو فاعل بمعنى مفعول؛ أي: ميؤوس منه؛ لإفراط طوله. ويُرْوَى: لا بائن من طول. أي: لا يجاوز الناس طولاً. وفي رواية: لا تَشْنَؤُه من طول. أي: لا يُبْغَض لفرط طوله، ومنه جاءت رواية مَن رَوَى: لا يُتَشَنَّى من طول. لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قِصَر، أي: لا تحتقره العيون لقصره فتتركه وتجاوزه إلى غيره، بل تقبله وتقف عنده. غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، أنضر الثلاثة منظرًا أي: أحسنهم وأبهاهم، من النضارة؛ أي: الحسن والنعمة. والثلاثة: هم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه، وعامر بن فهيرة. وأحسنهم قدرًا، له رُفقاء يحُفُّون به، حف به: استدار حوله وأحدق به. إن قال أَنْصَتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود، المحفود: المخدوم. والمحشود: الذي يجتمع الناس حوله. أي: كان أصحابه يحيطون به، ويجتمعون على خدمته. ويُرْوى بالسين المهملة. من الحسد. فإن صحَّ، فمَن أولى أن يحسد ممن تكاملت فيه مثل هذه الأخلاق! لا عابس ولا مفنّد. العابس: الكالح الوجه المقطَّب. والمفنَّد: المنسوب إلى الجهل وقلة العقل، من الفَنَد أي: الخَرَف. قال أبو معبد: هو - والله - صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكِر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.**

**قال: فأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت، ولا يدرون من صاحبه، وهو يقول:**

**جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا قالا: من القيلولة، وهو النزول في القائلة عند شدة الحر؛ للاستراحة والنوم وغير ذلك. خيمتَيْ أم معبدِ**

**هما نزلاها بالهدى واهتدت به = فقد فاز من أمسى رفيق محمدِ**

**فيا لَقُصَيٍّ ما زوى الله عنكم = به من فعال لا يجازى وسؤددِ**

**ليهن بني كعب مقام فتاتهم = ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ**

**سلوا أختكم عن شاتها وإنائها = فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهدِ**

**دعاها بشاة حائل فتحلبت = له بصريح ضرة الشاة مزبدِ**

**فغادرها رهنًا لديها لحالب = يرددها في مصدر ثم موردِ**

**وزاد في رواية:**

**فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمدِ**

**وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى برأس السابح المتجردِ**

**قال: فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر، نشِب يجاوب الهاتف، وهو يقول:**

**لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم = وقدَّس مَن يسري إليهم ويغتدي**

**ترحَّل عن قوم فضلَّت عقولهم = وحل على قوم بنور مجدد**

**هداهم به بعد الضلالة ربهم = وأرشدهم، مَن يتبع الحق يرشد**

**وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا = عمايتهم هادٍ به كل مهتد**

**وقد نزلت منه على أهل يثرب = ركاب هدى حلت عليهم بأسعد**

**نبي يرى ما لا يرى الناس حوله = ويتلو كتاب الله في كل مسجد**

**وإن قال في يوم مقالة غائب = فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد**

**ليهنأ أبا بكر سعادةُ جدِّه = بصحبته، من يُسعِد اللهُ يسعد**

**ليهنأ بني كعب مقام فتاتهم = ومقعدها للمؤمنين بمرصد**

**رواه الحاكم في المستدرك، والطبراني في المعجم الكبير، وقال الذهبي: صحيح.**

## القطرة الثانية: وصف هند بن أبي هالة:

**هذه القطرة الثانية سالت عذبة من بين شفتي هند بن أبي هالة، ربيب بيت النبوة، واسمه هند بن أبي هالة شماس، وقيل: نباش، وقيل: مالك بن نباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غُوَيِّ بن جزرة بن أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار بن قصي الأسدي التميمي. أمه خديجة بنت خويلد، خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أخو زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء لأمهن. قال أبو عمر في "الاستيعاب": كان هند بن أبي هالة فصيحًا بليغًا وصَّافًا، وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن وأتقن، تُوُفِيَ قتيلاً يوم الجمل مع عليٍّ رضي الله عنه، وهو خال ابنيه الحسن والحسين – رضي الله عنهما.**

**بلغ هند من الفصاحة والبيان مبلغًا مكَّنه من وصف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف لا يصفه وهو زوج أمه السيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - ولم لا ينال هذا الشرف وهو ربيب من أرباب البيت النبوي، وله من ملكات البيان، وأدوات البلاغة والتبيان ما يؤهله لتلك المنزلة.**

**كان وصف هند دقيقًا غاية الدقة، وشاملاً للجانب الخَلْقي والخُلُقي للنبي صلى الله عليه وسلم، وحاويًا من فصاحة الكلام وفوائد اللغة، ما دفع العلماء من أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة، إلى شرح غريب ألفاظ حديثه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم.**

**عن الحسن بن علي – رضي الله عنهما - قال: سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصَّافًا - عن حلية النبي، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمًا مفخَّمًا، الفخم المفخم: العظيم المعظم في العيون والصدور؛ أي: كان جميلاً مهيبًا. وأصل الفخم: الضخم، لكنه لم يكن ضخمًا، وإنما أراد به التعظيم، يقال: رجل فخم. أي: عظيم القدر. وقيل: الفخامة في الوجه، هي نُبْلُه وامتلاؤه، مع الجمال والمهابة. يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، ليلة البدر: الليلة الرابعة عشرة من الشهر، وفيها يستكمل البدر نوره. أطول من المربوع، المربوع: المعتدل القامة، وسطًا بين الطويل والقصير. وأقصر من المشَذَّب، المشَذَّب: الطويل البائن الطول، مع نقص في لحمه، وأصله من النَّخْلة الطويلة التي شُذِّب عنها سَعَفها؛ أي: قُطِعت وفُرِّقت، فيُفْحِش طولها في مرأى العين. وأكثر ما يقال المشذب في طول لا عرض له؛ أي: ليس بنحيف طويل، بل طوله وعرضه متناسبان على أتم صفة. عظيم الهامة، الهامة: الرأس. رَجِل الشعر، الشَّعر الرَّجِل: الذي ليس شديد الجعودة، ولا شديد السبوطة، بل بينهما. إن انفَرَقَت عَقِيصَتُه العَقِيصَة: الشَّعر المجموع كهيئة المضفور، من العقص بمعنى اللَّيِّ والعطف. وقيل: هي الخُصلة من الشَّعر إذا عُقِصت. ويُروى: إن انفرقت عقيقته العقيقة في الأصل: الشعر الذي يخرج على رأس الصبي حين يولد، وبه سُمِّيت العقيقة المسنونة في الذبح عن المولود، إذا حلق شعره بعد سبعة أيام من مولده، وكان تركها عندهم عيبًا وشُحًّا ولؤمًا. وإنما سمي شعر النبي عقيقة؛ لأنه منها، ونباته من أصولها، كما سمت العرب أشياء كثيرة بأسماء ما هي منه أو من سببه، وذهب بعض الأئمة إلى أن العقيقة في هذا الحديث تصحيف؛ فإن أكثر الروايات: العقيصة. فَرَق، الانفراق: مطاوع فَرَق: إذا فصل بين الشيئين. أي: كان لا يفرق شعره، إلا أن ينفرق هو بنفسه، كأنه يريد أن يفرِّق شعره بعدما جمعه وعقصه. يقال: فرق شعره وفرَّقه: إذا ترك كل شيء منه في منبته منحدرًا على حالته؛ لأنه إذا كان معقوصًا، فموضعه الذي يجمعه فيه حذاء أذنيه، ثم يرسله هناك. قال القتيبي: كان هذا في صدر الإسلام، يقال: إنه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بأمر، فسدل شعره ما شاء الله؛ موافقة لأهل الكتاب، ثم فرق بعد ذلك. وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفَّره، وفَّره: أي: أعفاه من الفَرْق. يعني أن شعره إذا فرقه تجاوز شحمة أذنيه، وإذا ترك فرقه لم يجاوزها. وشحمة الأذن: طرفها الأسفل. أزهر اللون، اللون الأزهر: الأبيض المستنير، والزَّهْرَة والزَّهْر: البياض النيِّر، وهو أحسن الألوان، وليس بالشديد البياض. واسع الجبين، الجبين: ما عن جانبي الجبهة من مقَدَّم الرأس. أَزَجّ الحواجب، الزَّجَج: دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة العين، مع تقوس خِلْقَة، وقد تفعله النساء تكلُّفًا، وقد نُهي عنه. وأزجُّ الحواجب: دقت حواجبه في حال سبوغهما. سوابغ في غير قَرَن، القَرَن: أن يلتقي طرفاهما مما يلي أعلى الأنف، وهو غير محمود عند العرب، ويستحبون البَلَج، وهو بياض ما بين رأسيهما وخلوه من الشعر. والمراد أن حاجبيه قد سُبِغا وامتدا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا. ونفي القرن هو الصحيح في صفته، دون ما وصفته به أم معبد، ويمكن الجمع بينهما على أنه لم يكن بالأقرن حقيقة، ولا بالأبلج حقيقة، بل كان بين حاجبيه فُرْجة يسيرة، لا تتبين إلا لمن حقق النظر إليها، كما ذكر في صفة أنفه، فقال: يحسبه من لم يتأمله أشمَّ، ولم يكن أشمَّ. والسوابغ: جمع سابغ، وهو التام الطويل. وسبوغ الدرع: سعتها وتمامها. بينهما عرق يُدِرُّه الغضب، بينهما عرق يدره الغضب: أي يحركه ويظهره، فكان إذا غضب امتلأ ذلك العرق دمًا، كما يمتلئ الضَّرع لبنًا إذا درَّ، فيظهر ويرتفع. وقيل: هو من أدرَّت المرأة المِغْزَل؛ إذا فتلته فتلاً شديدًا. أَقْنَى العِرْنين، العرنين: الأنف. والقنا: طول الأنف ودقته ودقة أرنبته، مع ارتفاع في وسط قصبته. له نور يعلوه، يحسبه مَن لم يتأمله أَشَمَّ، الشَّمَمُ: ارتفاع رأس الأنف، وإشراف الأرنبة قليلاً، واستواء أعلى القصبة. أي: كان يُحسب لحسن قناه قبل التأمل أشم، فليس بفاحش مفرط، بل يميل يسيرًا إلى الشَّمَم. كثّ اللحية، الشعر الكَثُّ: الكثيف المتراكب، من غير طول ولا رقة. سهل الخدين، سهل الخدين: أي: ليس في خده نُتُوٌّ وارتفاعٌ، من سهل الأرض، ضد حَزْنها. وقيل: أراد أن خديه أسيلان؛ قليلا اللحم، رقيقا الجلد. ضليع الفم، الضليع الفم: الواسع العظيم، وكانوا يذمون صغر الفم. وقال أبو عبيد: أحسبه جِلَّة في الشفتين وغلظة فيهما. والضليع في الأصل الذي عظمت أضلاعه واتسع جنباه، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل عظيم وإن لم يكن ثَمَّ أضلاع. أَشْنَب، الشنب: رقة الأسنان ودقتها، وتحدُّد أطرافها. وقيل: هو بردها وعذوبتها. ومنه قولهم: رمانة شنباء. وهي العذبة الطعم، الكثيرة الماء. وسُئل رؤبة بن العجاج عن الشَّنَب، فأخرج حبة رمان، وقال: هذا هو الشنب. مُفَلَّج الأسنان، الفَلَج: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات. والفَرَق: فرجة بين الأسنان. دقيق المَسْرُبة، المَسْرُبَة: ما دق من شعر الصدر، سائلاً إلى السُّرَّة. كأن عنقه جِيد دُمْية في صفاء الفضة، الجيد: العنق. الدُّمْية: الصورة المصورة في جدار أو غيره. معتدل الخَلْق، اعتدال الخَلق: تناسب الأعضاء والأطراف، وألا تكون متباينة مختلفة في الدقة والغلظ، والصغر والكبر، والطول والقصر. بادنًا متماسكًا، البادن: الضخم التام اللحم. المتامسك: الذي لحمه ليس بمسترخٍ ولا متهدل. ولما وصفه بالبدانة أتبعها بالتماسك، كأن لحمه لاكتنازه واصطحابه يمسك بعضه بعضًا؛ لأن الغالب على السِّمَن الاسترخاء. سواء البطن والصدر، سواء البطن والصدر: متساويهما. يعني أن بطنه غير خارجٍ بل مساوٍ لصدره، وصدره عريض، فهو مساوٍ لبطنه. عريض الصدر، بعيد ما بين المَنْكَبين، المنكبان: أعلى الكتفين. وبُعْد ما بينهما يدل على سعة الصدر والظهر. ضخم الكَراديس، الكراديس: جمع كُرْدوس، وهو رأس كل عظم كبير، وملتقى كل عظمين ضخمين؛ كالمنكبين والمرفقين والوركين والركبتين، ويريد به ضخامة الأعضاء وغلظها. أنور المُتَجَرَّد، المُجَرَّد والمُتَجَرَّد: ما كُشِف عنه الثوب من البدن. أي: كان مشرق الجسد، نيِّر اللون، فوضع الأنور موضع النَّيِّر. موصول ما بين اللَّبَّة اللَّبَّة: الوهْدة التي في أعلى الصدر، في أسفل الحلق بين التَّرْقُوَتين. والسُّرَّة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أي: إن ثدييه وبطنه ليس عليهما شعر سوى المسرُبة، الذي جعله يجري كالخط. أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزَّنْدَين، الزَّنْدان: العظمان اللذان يليان الكف من الذراع، رأس أحدهما يلي الإبهام، ورأس الآخر يلي الخِنْصَر. رحب الراحة، الراحة: الكف. ورحبها: سعتها. وهو دليل الجود مستعارًا، كما أن ضيقها وصغرها دليل البخل. سَبْط القصب، القَصَب: كل عظم أجوف فيه مخّ. شَثْن الكفين والقدمين، الشَّثْن: الغليظ الأطراف والأصابع. سائل الأطراف، كونها سائلة أي: ليست بمتعقِّدة ولا متجعِّدة، فهي مع غلظها سهلة سَبْطَة. ويُروى: سائن الأطراف. بالنون على الإبدال. أو قال: شائل الأطراف. خُمْصان الأَخْمَصَين، الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يصل إلى الأرض منها عند الوطء، والخُمْصان: المبالغ منه. أي: ذلك الموضع من رجله شديد التجافي عن الأرض. مَسِيح القدمين ينبو عنهما الماء، القدمان المسيحتان: اللتان ظاهرهما ممسوح غير متعقِّد، فإذا صب عليهما الماء مر سريعًا؛ لملاستهما فينبو عنهما الماء ولا يقف. إذا زال زال قَلْعًا، إذا زال زال قَلعًا: اختُلف في ضبط هذه اللفظة، فقال الهراوي: قرأت هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الأنباري: "قَلِعًا" بفتح القاف وكسر اللام، وكذلك قرأته بخط الأزهري. قال: وهذا كما جاء في حديث آخر: كأنما ينحط من صَبَب. والانحدار من الصبب، والتَّقَلُّع من الأرض قريب بعضه من بعض. أراد أنه كان يستعمل التثبت، ولا يبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة. وقد جاءت صفته في حديث آخر: إذا مشى تقلع. أراد به قوة مشيه، وأنه كان يرفع قدميه من الأرض رفعًا قويًّا، لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطوه، فإن ذلك من مشي النساء، ويوصفن به. وقيل: هو بفتح القاف وسكون اللام، مصدر بمعنى الفاعل. أي: إذا زال زال قالعًا من الأرض. ومنهم من يرويه بضم القاف وسكون اللام، على أنه مصدر - أيضًا - بهذا المعنى. يخطو تكفِّيًا، التَّكفُّؤ: تمايل الماشي إلى قدَّام، كما تتكفَّأ السفينة والغصن إذا هبت به الريح، وأصله من كفأت الإناء: إذا أَمَلْته. والذي جاء في الرواية: يمشي تكفِّيًا غير مهموز. وفي حديث آخر: إذا مشى تكفَّى تكفِّيًا. ويمشي هونًا، الهون: المشي في رفق ولين، غير مختال ولا معجب. وفي رواية: كان يمشي الهوينى. الهوينى: تصغير الهونى، تأنيث الأهون، وهو من الأول. ذريع المشية، الذريع: السريع. أي: إنه كان واسع الخَطو، فيسرع مشيه. وربما يُظن أن هذا ضد الأول، ولا تضاد فيه؛ لأن معناه أنه كان مع تثبته في المشي يتابع بين الخطوات ويوسعها، فيسبق غيره. إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب، ينحط: يسقط ويهوي من مكان عالٍ. والصَبَب: الموضع المنحدر من الأرض. وذلك دليل على سرعة مشيه؛ لأن المنحدر لا يكاد يثبت في مشيه. وفي رواية: كأنما يهوي من صَبُوب. بالضم والفتح، فبالضم جمع صَبَب، وهو المنحدر من الأرض. وبالفتح اسم لما يُصب على الإنسان من ماء وغيره. وإذا التفت التفت جميعًا، إذا التفت التفت جميعًا أي: لم يكن يلوي عنقه ورأسه إذا أراد أن يلتفت إلى ورائه، فعل الطائش العَجِل، إنما يُدير بدنه كله وينظر، وقيل: أراد أنه كان لا يسارق النظر. خافض الطرف، الطرف: العين، مسمًّى بالمصدر، وكانت الملاحظة معظم نظره وأكثره، وهو دليل الحياء والكرم. نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء تفسير لخفض الطرف والملاحظة. جل نظره الملاحظة، جلُّ الشيء: معظمه وأكثره. والملاحظة: أن ينظر الرجل بلحظ عينيه، وهو شِقُّها الذي يلي الصُّدْغ والأذن، ولا يحدق إلى الشيء تحديقًا، يقال: لحظ لحظًا، ولاحظ ملاحظة. يسوق أصحابه، يسوق أصحابه أي: يُقَدِّمهم أمامه، ويمشي وراءهم. ويُروى: ينُسُّ أصحابه. والنَّسُّ: السَّوق، وقد نسَّه ينسُّه نسًّا. ويبدأ من لقي بالسلام.**

**قلت: صف لي منطقه.**

**قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، تواصل أحزانه، ودوام فكره، وعدم راحته لاهتمامه بأمر الدين، والقيام بما بُعث به، وكلف تبليغه، وخوفه من أمور الآخرة. طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، الأشداق: جمع شِدق، وهو جانب الفم. وإنما يتكلم الرجل بأشداقه؛ لرُحبها وسعتها، والعرب تمتدح بذلك. وأما قوله في الحديث الآخر: "أبغضكم إليَّ يوم القيامة المتشدقون" [رواه الطبراني]. فقيل: أراد المستهزئين بالناس، كالذي يلوي شدقه بهم وعليهم. وقيل: أراد المتوسع في كلامه كبرًا وعُجبًا في غير احتياط واحتراز. وقيل: هو أن يفتح فاه كله عند الكلام بملء فيه. ويتكلم بجوامع الكلم، جوامع الكلم: هي القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني، ومنه الحديث: "أُوتِيت جوامع الكلم". يعني القرآن. فصلاً، لا فضول ولا تقصير، القول الفصل: هو البيِّن الظاهر المحكم الذي لا يعاب قائله وحقيقته: الفاصل بين الحق والباطل، والصواب والخطأ. والفضول من الكلام: ما زاد عن الحاجة وفضل. دَمِثًا، الدَّمِث: السهل اللين الخلق، وأصله من الدَّمَث، وهي الأرض اللينة السهلة. ليس بالجافي ولا المُهين، الجافي: المعرض المتباعد عن الناس، من الجفاء: وهو ترك الصلة والبر. وقيل: الجافي: الغليظ الخِلْقة والطبع، وقد جفا أصحابه يجفوهم: إذا قاطعهم، أو خشُن عليهم. والمهين: يُروى بضم الميم وفتحها، فبالضم من الإهانة، وهي الإذلال والاطِّراح. أي: لا يهين أحدًا من أصحابه أو من الناس. وبالفتح: هو من المهانة: الحقارة والصِّغَر، وقد مَهُن يمهن فهو مهين. يعظم النعمة وإن دقَّت، يعظم النعمة أي: لا يستصغر شيئًا أوتيه وإن كان صغيرًا. ودقَّت أي: صغرت. لا يذم منها شيئًا، لا يذم ذَواقًا ولا يمدحه، الذَّواق: اسم ما يذاق باللسان. أي: لا يصف الطعام بطيب ولا بشاعة. ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، إذا تعوطي الحقُّ لم يعرفه أحد أي: إذا نيل من الحق أو أهمل أو تُعُرِّض للقدح فيه، تنكَّر عليهم، وخالف عادته معهم، حتى لا يكاد يعرفه أحد منهم، ولا يثبت لغضبه شيء حتى ينتصر للحق. ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، إذا تحدث اتصل أي: كان يشير بكفه إلى حديثه، وتفسيره: فيضرب بباطن راحته اليمنى إبهامه اليسرى. فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، أي: إذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ، ويقنع بالإعراض عمن أغضبه. وإذا فرح غضَّ طرفه، غضُّ الطرف عند الفرح: دليل على نفي البطر والأشر. جُلُّ ضحكه التبسم، التبسم: أقل الضحك وأدناه. ويفترُّ عن مثل حَبِّ الغمام. يفترُّ: أي: يكشف عند التبسم عن أسنانه من غير قهقهة. والغمام: السحاب.**

**قال الحسن رضي الله عنه: فكتمتها الحسين زمانًا، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه – يعني سيدنا عليًّا رضي الله عنه - عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله، الشَّكْل: بفتح الشين، وهو السيرة والطريقة. فلم يدع منه شيئًا.**

**قال الحسين رضي الله عنه: سألت أبي عن دخول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان دخوله لنفسه مأذونًا له في ذلك، فكان إذا أوى أوى: رجع. إلى منزله جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزَّأ: قسَّم. جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، والجزء المختص بالله تعالى: هو اشتغاله بعبادته ومناجاته في ليله ونهاره. والجزء المختص بأهله: هو الوقت الذي يصحبهم ويعاشرهم فيه. والجزء المختص بنفسه: هو الذي لا يتعبد فيه ولا يعاشر أهله. ثم جزَّأ جزءه بينه وبين الناس، أي: قسمه قسمين بينه وبين الناس. فيرد ذلك على العامة بالخاصة، فيرد ذلك على العامة بالخاصة: أراد أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت، فكانت الخاصة تُخْبر العامة بما سمعت منه، فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة. وقيل: إن "الباء" في الخاصة بمعنى "من"، أي: يجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة، وبدلاً منهم. ولا يدخر عنهم شيئًا.**

**وذكر مجلسه فقال: مجلس حلم وحياء، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم فيما أصلحهم والأمة عن شيء من مساءلتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، يقول ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة مَن لا يستطيع إبلاغي حاجته، وإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه، ثبَّت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره يدخلون عليه روَّادًا، الرواد: جمع رائد، وهو الذي يتقدم القوم يكشف لهم حال الماء والمرعى قبل وصولهم.**

**ولا يفترقون إلا عن ذواق، لا يفترقون إلا عن ذَواق: ضرب الذواق مثلاً لما ينالون عنده من الخير. أي: لا يتفرقون إلا عن علم يتعلمونه، يقوم لهم مقام الطعام والشراب؛ لأنه يحفظ الأرواح كما يحفظ الطعام الأجسام. ويخرجون من عنده أدلة. ويخرجون أدلة: جمع دليل، أي: يدلون الناس بما قد علموه منه وعرفوه. يريد أنهم يخرجون من عنده فقهاء. ويُروى بالذال المعجمة، جمع ذليل. يريد به: يخرجون من عنده متواضعين متعظين بما سمعوا، من قوله تعالى: "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين" [المائدة: 54].**

**قال: فسألته عن مخرجه، كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم، ولا يفرقهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره، ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجوزه الذين يلونه من الناس، خيارهم خيارهم: أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.**

**قال: فسألته عن مجلسه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه بنصيبهم، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، مَنْ جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول، قد وَسِع الناس منه بسطته وخلقه، فصار لهم أبًا، وصاروا في الحق عنده سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، لا تُؤْبَن فيه الحُرَم. أي: لا تقذف وترمى بعيب. ومنه حديث الإفك: "أشيروا عليَّ في أناس أبَنُوا أهلي" [متفق عليه]. أَبْنَوا: عابوهم واتهموهم. والحرَم: جمع حرمة وهي المرأة، وما يلزم الإنسان حفظه وصونه. ولا تنثى فلتاتُهُ لا تُنْثى فلتاته، أي: لا يتحدث عن مجلسه بهفوة أو زلة، إن حدثت فيه من بعض القوم. يقال: نَثَوت الحديثَ أنثوه نثْوًا: إذا أذعته. الفلتات: جمع فلتة، وهي ههنا الزلة والسَّقْطة. وقيل: معناه أنه لم يكن فيه فلتات فتُنْثَى. متعادِلِين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.**

**قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البِشْر، البِشْر: طلاقة الوجه وبشاشته. سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظٍّ، الفَظُّ: السيئ الخُلُق. ولا غليظ ولا صخَّاب، الصَّخَّاب: فعَّال من الصَّخَب، وهو الضجة، واضطراب الأصوات والخصام، ويُروَى بالسين والصاد على الإبدال. ولا فحَّاش ولا عيَّاب الفحَّاش والعيَّاب: على وزن فعَّال للمبالغة، من الفحش في القول، وعيب الناس، والوقيعة فيهم. ولا مدَّاح، متغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه، قوله: "ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه" كذا عند الطبراني في الكبير وابن الجوزي في صفة الصفوة وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وورد عند الترمذي في الشمائل والصنعاني في سبل الهدى والرشاد: "لا يؤيس منه راجيه، ولا يخيب فيه" بمعنى أن من يطلب المصطفى لحاجته ويرجوه لها لا ييأس من إجابته ولا يتوقع منه أن يخيب ظنه فيه. والله أعلم.**

**قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، الإطراق: خفض الرأس، وإدامة النظر إلى الأرض بين يديه. كأنما على رؤوسهم الطير: يصفهم بالسكون والثبات في المجلس؛ لأن الطير لا تسقط إلا على ساكن. فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، مَن تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوَّلِيَّتهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرشدوه. ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، لا يقبل الثناء إلا من مكافئ: يريد أنه كان إذا ابتدئ بثناء ومدح كره ذلك، وإذا اصطنع معروفًا فأثنى عليه مثنٍ وشكر له قبل ثناءه. وأنكر ابن الأنباري هذا التأويل، وقال: المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه ممن لا يعرف حقيقة إسلامه، ولا يكون من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وقال الأزهري: فيه قول ثالث، أي: لا يقبل الثناء إلا من مقارب غير مجاوز حد مثله، ولا مقصر عما رفعه الله إليه. والمكافأة: المجازاة على الشيء. ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه، فيقطعه بنهي أو قيام.**

**قلت: كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر، فأما تقديره، ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس. وأما تفكره - أو قال تذكره - ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الحلم والصبر، وكان لا يغضبه ولا يستفزه شيء. وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى ليُقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما يصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة. هذا الحديث أخرجه ابن قتيبة في غريبه، عن محمد بن عبيد، بإسناده عن الحسن بن علي – رضي الله عنهما، وأخرجه أيضًا الترمذي في الشمائل، وابن سعد في طبقاته، وابن كثير في شمائله، وأبو نعيم في دلائل النبوة، والبيهقي في الدلائل. وهو حديث معروف بهند لم يرو غيره، وإن كان أكثره عن عليٍّ رضي الله عنه، وفيه ما هو موافق لما في الصحيح.**

## القطرة الثالثة: وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

**كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا نعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: لم يكن بالطويل المُمَّغِط المُمَّغِط: الشديد الطول. ولا القصير المتردد، المتردد: الذي تردد بعض خَلْقه على بعض، فاجتمع بدنه وتداخل قصرًا. وكان رِبْعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط، الجعد: في صفات الرجال، يكون مدحًا وذمًّا، فإذا كان مدحًا فمعناه: أن يكون شديد الأَسر والخلق، أو يكون جعد الشعر؛ لأن الجعودة تغلب على شعور العرب، والسبوطة - وهي ضد الجعودة - أكثرها في شعور العجم. وإذا كان الجعد ذمًّا، فهو القصير المتردد الخَلْق. وقد يطلق على البخيل، فيقال: هو جعد اليدين. والمراد به في هذا الحديث: الشَّعر. ولذلك أتبعه بالقطط، وهو المتناهي الجعودة، كشعر الزنوج. ولا السبط، أي: الذي لا جعودة فيه أصلاً؛ ولذلك أتبعه فقال: كان جعدًا رجلاً. كان جعدًا رجلاً، ولم يكن بالمطهم أي: المنتفخ الوجه. وقيل: الفاحش السِّمَن. وقيل: النحيف الجسم. وقيل: الطُّهْمة في اللون: أن تتجاوز سمرته إلى السواد. ولا المكلثم، المكلثم: المستدير الوجه، ولا يكون ذلك إلا مع كثرة اللحم. وقيل: هو القصير الحنك، الداني الجبهة مع الاستدارة. وكان أبيض مشربًا، المشرب من الألوان: الذي خالط بياضه حمرة، كأنه أُسْقيها فشربها. أدعج العينين، الدعج: شدَّة سواد العين مع سعتها. أهدب الأشفار، أي: طويل شعر الأجفان. جليل المشاش والكتد، المشاش: رؤوس العظام؛ كالمنكبين والمرفقين والركبتين. وقال الجوهري: المشاش: رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها. والمراد الأول: أي إنه كان عظيم رؤوس العظام غليظها، وهو دليل القوة والشدة، والكتد: ما بين الأكتاف إلى الظهر. دقيق المسْرُبة، أجرد، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صَبَب، وفي رواية: صَعَد. والصعد مثل الصبب. هكذا شرحه أبو موسى. والمعروف في الصعد أنه خلاف الصبب، ووجهه - إن صحت الرواية - أنه كان يمشي منحدرًا في موضع فيه صعودٌ وارتفاعٌ. وإذا التفت التفت معًا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، أجود الناس كفًّا، وأرحب الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، اللهجة: اللسان، ويعبر به عن الكلام والقول. وأوفى الناس ذمة، الذمة: العهد والأمان. وألينهم عريكة، العريكة: الخليقة والسجية. وأكرمهم عِشْرَة، العِشْرة: الصحبة. مَنْ رآه بديهة هابه، الهيبة: المخافة والإجلال. ومن خالطه أحبه، يقول ناعتُهُ: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.**

**وجاء في رواية أخرى: كان ضخم الرأس، عظيم العينين، كث اللحية، أزهر اللون، أبيض مشربًا بياضه حمرة، أسود الحدقة، لا قصير ولا طويل، وهو إلى الطول أقرب، ليس بالطويل البائن، الطويل البائن: الخارج عن الاعتدال. ولا الطويل المتثنِّي، الطويل المتثنِّي: المنعطف لشدة طوله. ولا القصير الفاحش، شعره إلى شحمة أذنه، عريض الجبهة، مفلج الثنايا، أسيل الخد، أي: قليل اللحم من غير نُتُوٍّ. على شفته السفلى خالٌ الخالُ: العلامة. كأن عنقه إبريق فضة، بعيد ما بين المنكبين، كأن كفه من لينها مس أرنب، كأن عَرَقَه اللؤلؤ، وإذا جاء مع القوم غمرهم، أي: علا عليهم. واشتهر من بينهم، وإذا ضحك تبسم، ليس بسخَّاب في الأسواق.**

**وَرُوِيَ في صفته عن جماعة من الصحابة غير عليٍّ رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، الأمهق: الذي لا يخالطه شيء من الحمرة، وليس بنير كلون الجصِّ، أي: كان نير البياض. شَبْح الذراعين، الشَّبْح: العريض. كانت في عينيه شُكْلة، الشُّكْلة: أن يخالط بياض العين حمرة يسيرة. والشُّهلة: حمرة في سوادها. أسْجَر العينين، السُّجْرة: مثل الشكلة أو قريب منها. في خاصرتيه انفتاق، الانفتاق: الاسترخاء. أي: لم يكن منفتح الخاصرتين. مفاض البطن، المفاض: أن يكون فيه امتلاء، وهو عند العرب من علامات السُّؤْدَد. وقد وُصف في الحديث الآخر أنه خميص البطن، ووجه الجمع بينهما، أن يكون ضامرًا أعلى البطن مفاضًا أسفله. وافر السَّبَلة، السبلة: مقدَّم اللحية، وما انحدر منها على الصدر. وقيل: هي الشعرات التي تحت اللَّحْى الأسفل. وقال الجوهري: السَّبَلة: الشارب. أخضر الشَّمَط، الشَّمَط: الشيب. واخضراره من الطيب والدهن المروح المطيب بالمسك. أبيض مُقَصَّدًا، المقَصَّد: المعتدل الخَلْق، الذي ليس بجسيم ولا طويل ولا قصير. كأن خَلْقَه نُحي به القصد من الأمور، وهو العدل، فلا يميل إلى أحد طرفي التفريط أو الإفراط. لم يكن بعُطْبُول العُطْبول: الطويل. ولا قصير، أفلج الأسنان أشنبها، سهل الخدين صَلْتَهما، الصَّلْت: الأملس النقي. فَعْم الأوصال، الفَعْمُ: الممتلئ. والأوصال: الأعضاء. أكثر شيبة في فَوْديْ رأسه، فَوْدا رأسه: جانباه. والفَوْد أيضًا: معظم شعر الرأس. كان إذا رضي وسُرَّ كأن وجهه المرآة، وكأنَّ الجُدُر تُلاحِكُ وجهه، الملاحكة: شدة الملائمة والالتحام. والمعنى أن حيطان البيت تُرى في وجهه؛ لوضاءته ونوره، كما تُرى في المرآة. وكان فيه شيء من صَوَر، الصَّوَر: الميل. قال الخطَّابيُّ: يشبه أن تكون هذه الحال في مشيه إذا جدَّ به السير واستعجل. يبذُّ القوم إذا سارع إلى خير البَذُّ: السبق. أو مشى إليه، ويسوقهم إذا لم يسارع إلى شيء بمشية الهوينا الهوينا: التأني في المشي واللين. يريد أنه كان لا يسبق أصحابه إذا لم يسرع. وكان من أَزْمَتهم الزَّمْت: الثبات والوقار والرزانة. في المجلس.**

**القطرة الرابعة: وصف أبي بكر الصديق رضي الله عنه.**

**لقي أبو بكر رضي الله عنه راهبًا، فقال له: صِفْ لي محمدًا كأني أنظر إليه، فإني رأيت صفته في التوارة والإنجيل. فقال رضي الله عنه: لم يكن حبيبي بالطويل البائن ولا بالقصير، فوق الرِّبْعَة، أبيض اللون مشرب بالحمرة، جعد ليس بالقطط، جمته إلى شحمة أذنه، صلت الجبين، واضح الخد، أدعج العينين، أقنى الأنف، مفلج الثنايا، وكأن عنقه إبريق فضة، وجهه كدارة القمر. فأسلم الراهب. ربيع الأبرار 1/ 135.**

## النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن نفسه:

* **"إن لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي". متفق عليه.**
* **"بعثت من خير بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه". رواه البخاري.**
* **"إن الله خلق الخلق، فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا". رواه الترمذي.**
* **"إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم". رواه مسلم.**
* **"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع". رواه مسلم.**
* **"أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة". رواه مسلم.**
* **"أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيًّا ما صدقه من أمته إلا رجل واحد". رواه مسلم.**
* **"فضلت على الأنبياء بستٍّ: أُعْطِيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون". رواه مسلم.**
* **"سألت ربي ثلاثًا؛ فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسِّنَة السِّنَةُ: القحط. فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وفي رواية: فسألته ألا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها. وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها". رواه مسلم.**
* **"إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وُضِعَت هذه اللبنة؟". قال: "فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين". متفق عليه.**

## نسب النبي صلى الله عليه وسلم:

**نبينا صلى الله عليه وسلم غصن طيب في أيكة مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وانتقى الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الأصلاب الطاهرة، التي تنحدر منها نطفته الزكية، واصطفى لهذه النطفة أطهر الأرحام وأنقى الأوعية، فظل صلى الله عليه وسلم يتقلب في الساجدين، حتى غمر نوره الوجود، نبيل العنصر، عالي الكعب، صافي المعدن، وصدق مَن قال:**

**نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عمودًا**

**عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم". رواه مسلم.**

**وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق الخلق، فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير القبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا". رواه الترمذي. وفي لفظ آخر: "إن الله خلق الخلق، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا". رواه الترمذي.**

**وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت من خير بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه". رواه البخاري.**

**وهاك سرد النسب الزكي، الذي خرجت من مشكاته نطفة النبي صلى الله عليه وسلم: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اسم عبد المطلب: شَيْبَة بن هاشم اسم هاشم: عمرو بن عبد مناف اسم عبد مناف: المغيرة بن قصَيِّ اسم قصيٍّ: زيد بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر وفهر: هو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة بن مالك بن النَّضْر اسم النضر: قيس بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة واسمه عامر بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان.**

**وهؤلاء الأطهار من المصطَفَيْنَ الأخيار قد اتفق العلماء عليهم، أما أجداده بعد عدنان، فقد وقع الخلاف فيهم بين العلماء.**

## كنيته:

**كان صلى الله عليه وسلم يكنّى بأكبر أولاده القاسم، فكان الصحابة يكنون أولادهم بكنيته تبركًا، فينادونهم بأبي القاسم، حتى نهى عن أن يدعو أحدٌ أحدًا بأبي القاسم ونهى أن يكتنى أحد بها، والأصل في ذلك ما روى حميد عن أنس قال: نادى رجل رجلاً بالبقيع: يا أبا القاسم. فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلانا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي". وهذا المعنى قد عُدِم بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك يكني الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكنية، فمحمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن علي بن أبي طالب ومحمد بن طلحة بن عبد الله ومحمد بن الأشعث بن قيس كل واحد منهم يكنى أبا القاسم، وكذلك جماعة معهم. قال مالك رحمه الله وما علمت بأسًا أن يسمى محمدًا ويكنى بأبي القاسم. قال: وأهل مكة يتحدثون ما من بيت فيه اسم محمد إلا رأوا خيرًا ورزقوا. (انظر: المنتقى شرح الموطأ.)**

## أسماؤه:

**تعددت أسماء النبي صلى الله عليه وسلم تعددًا ينبئ بسمو قدره، وعلو شأنه عند ربِّه، وحمل كل اسم من دلالات العظمة ومعاني الفخامة ما يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم، فمنها ما أُضِيف إلى لفظ الجلالة إضافة تشريف وتكريم، ومنها ما يدل على خصيصة من خصائصه التي حباه بها ربه سبحانه وتعالى، وهذه الأسماء الشريفة لا نعرف لها حدًّا ولا حصرًا؛ إذ أكثرها صفات، ومن المعلوم أن صفاته صلى الله عليه وسلم كثيرة، ولا عجب في ذلك، ألم تر أن العلماء لما استقرؤوا صفات الأسد، واستقصوا النظر فيها، أوصلوا أسماءه إلى خمسمائة اسم؟! فما بالنا بصفات حبيبنا صلى الله عليه وسلم؟**

**يقول ابن القيم: وأسماؤه صلى الله عليه وسلم نوعان:**

**أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل؛ كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة.**

**والثاني: ما يشاركه في معناه غيرُهُ من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله؛ كرسول الله ونبيِّه وعبده والشاهد والمبشر والنذير ونبي الرحمة ونبي التوبة.**

**وأما إن جُعِلَ له من كل وصف من أوصافه اسم، تجاوزت أسماؤه المائتين؛ كالصادق والمصدوق والرؤوف الرحيم، إلى أمثال ذلك. وفي هذا قال مَن قال من الناس: إن لله ألف اسم، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم. قاله أبو الخطاب ابن دحية، ومقصوده الأوصاف. زاد المعاد، 1/ 84.**

**قال الشيخ النواوي: قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه "عارضة الأحوذي في شرح الترمذي": قال بعض الصوفية: لله تعالى ألف اسم، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم، فأما أسماء الله تعالى فهذا عدد صغير فيها، وأما أسماء النبي فلم أحصها إلا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء البيِّن، فوعيت منها أربعة وستين اسمًا. ثم ذكرها مفصلة مشروحة، فاستوعب وأجاد، ثم قال: وله وراء هذه أسماء. وقد ذكر الشيخ شرف الدين الطيبي في كتابه "الكاشف" وغيره أيضًا هذه الأسماء، وهي:**

**محمد وأحمد ومحمود والماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي الملاحم والشاهد والمبشر والنذير والضحوك والمتوكل والفاتح والأمين والمصطفى والخاتم والرسول والنبي والأمي والقيِّم ونبي التوبة والقاسم والعبد وعبد الله والمزمِّل والمدثِّر والشفيع والشافع والمشفع والحبيب والخطيب والحيي والخليل والداعي والسراج المنير وحريص عليكم ورؤوف رحيم والطيب وذو العزم والصاحب والصالح والسيد والقائد والإمام والحرز والنور والأزهر والأجود والشكور والكريم. الجامع لأوصاف الرسول لابن العاقولي ص14.**

**ومع كثرة هذه الأسماء، فإنه لم يشتهر منها إلا ما رواه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سَمَّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء، فقال: "أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي".**

**ويعتبر اسم "محمد" من أشهر هذه الأسماء، وهو اسم منقول من الصفة، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدحه صلى الله عليه وسلم:**

**وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمدُ**

**وقد ذكر ابن القيم تعليلاً جميلاً لتسميته بهذا الاسم، فقال: تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم لِما اشتمل عليه من مسماه وهو الحمد، فإنه صلى الله عليه وسلم محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه من المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وإن كفر به بعضهم، فإن ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل، وإن كابر عقله جحودًا أو عنادًا أو جهلاً باتصافه بها، ولو علم اتصافه بها لحمده، فإنه يُحْمَد من اتصف بصفات الكمال، ويجهل وجودها فيه، فهو في الحقيقة حامد له، وهو صلى الله عليه وسلم اختص من مسمى الحمد بما لم يجتمع لغيره؛ فإنه اسمه محمد وأحمد، وأمته الحمَّادون، يحمدون الله في السراء والضراء، وصلاته وصلاة أمته مفتَتَحة بالحمد، وخطبته مفتتحة بالحمد، وكتابه مفتتح بالحمد، هكذا عند الله في اللوح المحفوظ أن خلفاءه وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحًا بالحمد، وبيده صلى الله عليه وسلم لواء الحمد يوم القيامة، ولما يسجد بين يدي ربه عز وجل للشفاعة، ويؤذن له فيها، يحمد ربه بمحامد يفتحها عليه حينئذٍ، وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، قال تعالى: ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودًا [الإسراء: 79]. وإذا قام في ذلك المقام، حمده حينئذٍ أهل الموقف كلهم؛ مسلمهم وكافرهم، أولهم وآخرهم، و هو محمود صلى الله عليه وسلم بما ملأ الأرض من الهدى والإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وفتح به القلوب، وكشف به الظلمة عن أهل الأرض، واستنقذهم من أسر الشياطين، ومن الشرك بالله والكفر به والجهل به، حتى نال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة. ابن القيم، جلاء الأفهام 1/ 88، 89.**

**كما أورد ابن العاقولي في كتابه "الجامع لأوصاف الرسول" تفسيرًا ضافيًا لأسمائه صلى الله عليه وسلم، فقال:**

**الماحي: من قولك: محوت الخط إذا أزلته، وجاء مفسرًا في الحديث الذي محيت به سيئات مَن تبعه، ومن قوله: يمحو الله به الكفر، أي: بإظهار الحجة على بطلانه، وكل ما قامت الحجة على أنه باطل، فلا أثر لوجوده الصوري.**

**الحاشر: أي يُحشَر الناس على أثره وزمان نبوته، فهو إسناد مجازي؛ لأنه سبب في حشرهم، لا يحشرون حتى يُحشَر.**

**العاقب: هو الذي يخلف في الخير مَن كان قبله، وكذلك العَقُوب.**

**المقفِّي: بكسر الفاء بمعنى العاقب، وبالفتح بمعنى الكريم، مأخوذ من القفا، والقفاوة: البر. وسُمِّيَ به لكرمه.**

**نبي الرحمة: من قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" [الأنبياء: 107]. وهي العطف والإشفاق.**

**نبي الملاحم: من كونه يحارب الكفار. والملحمة: الحرب. والملاحم جمعها. وهذا من رحمته بهم؛ لأنه يُدْخِلُهم في الإسلام قهرًا، فيصيرون إلى الجنة، قال أبو هريرة في قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" [آل عمران: 110]. أي: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.**

**الشاهد: من قوله تعالى: "وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا" [النساء: 41]. أو من مشاهدته الحال، فأخبر بما شاهد منها "أفتمارونه على ما يرى" [النجم: 12].**

**المبشر والنذير: من قوله تعالى: "بشيرًا ونذيرًا" [البقرة: 119]. فالبشارة في الخير، والإنذار في العذاب.**

**الضحوك: لتبسمه؛ لأنه كان بسومًا غير عبوس، وهو اسمه بالتوراة.**

**المتوكل: لتوكله على الله تعالى، وهو التفويض لأموره كلها إليه تعالى.**

**الفاتح: أي أبواب العلوم على الأمة الأميَّة.**

**الأمين: سمَّاه به قومه في الجاهلية؛ لما شاهدوا من صدقه وأمانته.**

**المصطفى: من الاصطفاء، وهو تناول صفوة الشيء.**

**الخاتم: من ختمت الشيء: إذا بلغت آخره، وهو آخر الأنبياء بعثة.**

**النبي: من النبأ؛ لإنبائه عن الله تعالى. أو من النبوة، وهي الارتفاع. أو من النبئ، وهو الطريق، وهو في العرف: الرسول الذي لم ينزل عليه كتاب.**

**الرسول: هو النبي الذي أنزل عليه كتاب.**

**الأمِّيُّ: نسبة إلى أم القرى "مكة". أو إلى أمه؛ لبقائه على أصل الخلقة في عدم تعلم الكتابة.**

**القَيِّم: ومعناه: الجامع لمكارم الأخلاق، الكامل فيها. أو الجامع لشمل الناس؛ بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم.**

**نبي التوبة: لمجيئه بقبول التوبة المجردة عن القربان وقتل النفس.**

**القاسم: يقسم مال الله تعالى على عباده.**

**العبد: من قولهم: طريق مُعَبَّد. أي: مُذَلَّل موطَّأ. وكان قد ذهب ووطئ؟، فسُمِيَ عبدًا لذلك. أو قولهم للمكرم: المعبد، قال حاتم بن عبد الله الطائي:**

**تقول: ألا تُمسِك عليك فإنني أرى المال عند الباخلين مُعَبَّدَا؟!**

**المزمل: مِن تزمَّل الرجل بثيابه. أي: تدَّثر. من قوله عندما أُنزل عليه: "زمِّلوني".**

**المدَّثر: وهو ما يُدَثَّر به الإنسان فوق الشعار، قاله صاحب "المجمل" من قوله عندما أُنزِل عليه: "زملوني".**

**الحبيب: أي: أحبه الله تعالى محبة زائدة على محبته غيره، ومحبته تعالى عباده عبارة عن إرادته بهم الخير.**

**الخطيب: لأنه خطيب الأنبياء يوم القيامة.**

**الداعي: من قوله تعالى: "أدعو إلى الله على بصيرة" [يوسف: 108].**

**السراج المنير: استُعير لما في دعوته من الظهور التام الحجة على صدقه.**

**حريص عليكم: من الحرص على الخير؛ أي: هدايتهم وإنقاذهم.**

**رؤوف رحيم: مشتقان من أسمائه تعالى.**

**الطيب: من قوله تعالى: "الطيبات للطيبين" [النور: 26].**

**ذو العزم: أي: ذو الجد. وقيل: الحزم. أُمِر بالاقتداء بهم، فسُمِّيَ بذلك.**

**الصاحب: من قوله تعالى: "ما ضل صاحبكم" [النجم: 2].**

**الصالح: من قول الأنبياء: مرحبًا بالأخ الصالح.**

**السيد: من قولهم: ساد قومه يسودهم، فهو سيد.**

**الأجود: لأنه كان أجود الناس.**

**الشكور: من قوله: "أفلا أكون عبدًا شكورًا". حيث قام حتى تورمت قدماه.**

**الكريم: لكرمه على الله تعالى. ابن العاقولي، الجامع لأوصاف الرسول ص15، 16 باختصار.**

## فضائله:

**خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بفضائل لا تُحصى، تشي بعلو قدره وسمو مقامه عند ربه سبحانه وتعالى، وتميِّزه على غيره من بني البشر، فضلاً على الأنبياء والمرسلين، ولا عجب؛ فهو سيد المرسلين. ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه:**

**\* سيد ولد بني آدم، فقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرُفِع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة، وقال: "أنا سيد القوم يوم القيامة" متفق عليه.**

**\* أول مَن تنشق عنه الأرض، وأول مَن يشفع؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع". رواه مسلم.**

**\* أمان لأمته؛ فقد ورد في الحديث الصحيح: "النجوم أَمَنَة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعد، وأنا أَمَنَة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" رواه مسلم.**

**\* شهيد وبشير، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يومًا، فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: "إني فرط لكم، فرط لكم: أي سابقكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها" متفق عليه.**

**\* صاحب المقام المحمود؛ ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًّا، جثًّا: أي جالسين على ركبهم كل أمة تتبع نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع. حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود" رواه البخاري.**

**\* أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ قال تعالى: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم" [الأحزاب: 6].**

**قال الشوكاني: "فإذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لشيء ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدِّموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم". فتح القدير 6/ 18.**

**\* أنه خليل الرحمن؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أبرأ إلى كلِّ خلٍّ من خلِّه، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله". رواه مسلم. وهذه الخلة لم ينلها أحد سوى النبي صلى الله عليه وسلم، وسيدنا إبراهيم عليه السلام.**

**أعمامه وعماته:**

**يقول ابن القيم ذاكرًا أعمامه وعماته: فمنهم أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، والعباس، وأبو طالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزَّى، والزبير، وعبد الكعبة، والمقوم، وضرار، وقثم، والمغيرة ولقبه حجل، والغيداق واسمه مصعب وقيل: نوفل، وزاد بعضهم العوام. ولم يُسلم منهم إلا حمزة والعباس.**

**وأما عماته؛ فصفية - أم الزبير بن العوام - وعاتكة وبرَّة وأروى وأميمة وأم حكيم البيضاء. أسلم منهن صفية، واختلف في إسلام عاتكة وأروى، وصحح بعضهم إسلام أروى.**

**وأسن أعمامه الحارث، وأصغرهم سنًّا العباس، وعقب منه حتى ملأ أولاده الأرض. وقيل: أُحصوا في زمن المأمون فبلغوا ستمائة ألف. وفي ذلك بُعد لا يخفى، وكذلك أعقب أبو طالب وأكثر، والحارث وأبو لهب، وجعل بعضهم الحارث والمقوم واحدًا، وبعضهم الغيداق وحجلاً واحدًا. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 101.**

**يقول الحافظ العراقي:**

**أَعْمَامُهُ: حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ = قَدْ أَسْلَمَا وَأُرْغِمَ الْخَنَّاسُ**

**زُبَيْرٌ الْحَارِثُ حَجْلٌ قُثَمُ = ضِرَارٌ الْغَيْدَاقُ والْمُقَوِّمُ**

**عَبْدُ مَنَافٍ مَعْ عَبْدِ الْكَعْبَهْ = كَذَا أَبُو لَهَبٍ أَرْدَى كَسْبَهْ**

**عَمَّاتُهُ: صَفِيَّةٌ عَاتِكَةُ = أُمُّ حَكِيْمٍ بَرَّةٌ أُمَيْمَةُ**

**أَرْوَى وَلَمْ يُسْلِمْ سِوَى صَفِيَّةِ = قِيلَ وَمَعْ أَرْوَى وَمَعْ عَاتِكَةِ**

## مرضعاته:

**فمنهن ثويبة مولاة أبي لهب، أرضعته أيامًا، وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مسروح، وأرضعت معهما عمه حمزة بن عبد المطلب، واختُلِفَ في إسلامها، فالله أعلم.**

**ثم أرضعته حليمة السعدية بلبن ابنها عبد الله، أخي أنيسة وجدامة وهي الشيماء، أولاد الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي. واختُلِف في إسلام أبويه من الرضاعة، فالله أعلم. وأرضعت معه ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، وكان عمه حمزة رضي الله عنه مسترضعًا في بني سعد بن بكر.**

**فكان حمزة رضي الله عنه أخًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الرضاعة من جهتين: من جهة ثويبة، ومن جهة السعدية.**

## زوجاته:

**أولهن خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم حفصة وأم حبيبة وأم سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وجويرية وصفية. فهؤلاء التسع بعد خديجة تُوُفِيَ عنهن، ولم يتزوج في حياة خديجة غيرها، وما تزوج بكرًا غير عائشة.**

**وأما اللاتي فارقهن صلى الله عليه وسلم في حياته فتركناهن لكثرة الاختلاف فيهن. وكان له صلى الله عليه وسلم سرِّيتان: مارية، وريحانة بنت زيد. وقيل: بنت شمعون، ثم أعتقها.**

**روينا عن قتادة، قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي عن تسع. تهذيب الأسماء، النووي 1/ 32.**

**فأما خديجة، فهي خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، كانت القلب الحنون الذي يأوي إليه النبي صلى الله عليه وسلم، ووقفت بجواره تؤازره، وتشد على يديه، وتخفف عنه ما يلقاه في سبيل الدعوة، وقد تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ولها من العمر أربعون عامًا، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبي هالة، ومن وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لها أنه لم يتزوج عليها حتى ماتت، وقد أنجب النبي أولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين.**

**وأما سودة، فهي سودة بنت زمعة القرشية، تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد موت السيدة خديجة رضي الله عنها.**

**وأما عائشة، فهي أم عبد الله، الصِّديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ودخل بها في السنة الثانية من الهجرة، وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وهي التي حدثت لها حادثة الإفك، وبرَّأها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات، وكان جبريل عليه السلام قد عرضها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل الزواج بها في سرقة من حرير، وقال: هذه زوجتك. وكانت أفقه زوجاته صلى الله عليه وسلم، وأعلمهن بالحلال والحرام، وكان الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها، ولم ينزل عليه في لحاف امرأة غيرها.**

**وأما حفصة، فهي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.**

**وأما زينب، فهي زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر، وتُوفيت عنده بعد الدخول بها بشهرين.**

**وأما أم سلمة، فهي هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، آخر نسائه موتًا.**

**وأما صفية، فهي صفية بنت حُيَيِّ بن أخطب النضيرية، أمها برة بنت سموأل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سباها عام خيبر، فتزوجها بعد أن أعتقها، وكان هذا هو صداقها.**

**وأما زينب، فهي زينب بنت جحش، من بني أسد بن خزيمة، ابنة عمته أميمة. ولقد نالت منزلة لم تنلها امرأة من قبل أو من بعد؛ حيث كان رب العزة عز وجل وليَّها، وزُوِّجت النبي صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات، فكانت تفخر على نساء النبي بذلك، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات. قال تعالى: "فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها"[ الأحزاب 37 ]. وقد خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كانت عند زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقد تُوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.**

**وأما جويرية، فهي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، من بني المصطلق، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم؛ رغبة في دخول قومها في الإسلام، وقد أتته تطلب منه العون على كتابتها، فأدى النبي صلى الله عليه وسلم عنها كتابتها وتزوجها.**

**وأما أم حبيبة، فهي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية، وقيل: اسمها هند. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي في الحبشة مهاجرة؛ حيث زوجها له النجاشي، وأصدقها نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار، ثم كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودتها من الحبشة، وماتت في خلافة أخيها معاوية.**

**يقول ابن القيم: قيل: ومن أزواجه ريحانة بنت زيد النضرية. وقيل: القرظية. سُبيت يوم بني قريظة، فكانت صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقها وتزوجها، ثم طلقها تطليقة ثم راجعها. وقالت طائفة: بل كانت أمته، وكان يطؤها بملك اليمين، حتى توفي عنها، فهي معدودة في السراري لا في الزوجات. والقول الأول اختيار الواقدي، ووافقه عليه شرف الدين الدمياطي، وقال: هو الأثبت عند أهل العلم. وفيما قاله نظر، فإن المعروف أنها من سراريه وإمائه، والله أعلم.**

**فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهن، وأما مَن خطبهن ولم يتزوجهن، ومَن وهبن أنفسهن له ولم يتزوجهن، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة. وأهل العلم بسيرته وأحواله صلى الله عليه وسلم لا يعرفون هذا بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعاذت منه فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك الكلبية، وكذلك التي رأى بكشحها بياضًا فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن، هذا هو المحفوظ، والله أعلم.**

**ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم تُوُفِيَ عن تسع - وكان يقسم منهن لثمان: عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية.**

**وأول نسائه لحوقًا به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتًا أم سلمة سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد، والله أعلم. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 110.**

**يقول الحافظ العراقي في ذكر أزواجِهِ صلى الله عليه وسلم:**

**زَوْجَاتُهُ اللاَّتِي بِهِنَّ قَدْ دَخَلْ = ثِنْتَا أَوِ إحْدَى عَشْرَةٍ خُلْفٌ نَقَلْ**

**خَدِيجَةُ الأُولَى تَلِيها سَوْدَةُ = ثُمَّ تَلِي عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ**

**وَقِيْلَ قَبْلَ سَوْدَةٍ فَحَفْصَةُ = فَزَيْنَبُ وَالِدُهَا خُزَيْمَةُ**

**فَبَعْدَهَا هِنْدٌ أيِ أمُّ سَلَمَهْ = فَابْنَةُ جَحْشٍ زَينبُ المُكَرَّمَهْ**

**تَلِي ابْنَةُ الحَارِثِ أَيْ جُوَيْرِيَهْ = فَبَعْدَهَا رَيْحَانَةُ الْمُسْبَيَهْ**

**وَقِيْلَ بَلْ مِلْكُ يَمِينٍ فَقَطُ = لَمْ يَتَزَوَّجْهَا وَذَاكَ أَضْبَطُ**

**بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ وَهْيَ رَمْلَةُ = أُمُّ حَبِيبَةٍ تَلِي صَفِيَّةُ**

**مِنْ بَعْدِهَا فَبَعْدَهَا مَيْمُونَهْ = حِلاًّ وَكانَتْ كَاسْمِهَا مَيْمُونَهْ**

**وَابْنُ المُثنَّى مَعْمَرٌ قَدْ أدْخَلاَ = فِي جُمْلَةِ اللاتِي بِهِنَّ دَخَلاَ**

**بِنْتَ شُرَيْحٍ وَاسْمُهَا فَاطِمَةُ = عَرَّفَهَا بأَنَّهَا الْوَاهِبَةُ**

**وَلَمْ أَجِدْ مَنْ جَمَعَ الصَّحَابَهْ = ذَكَرَهَا وَلا بِأُسْدِ الغَابَهْ**

**وَعَلَّها الَّتِي اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ = وَهْيَ ابنَةُ الضَّحَّاكِ بَانَتْ عَنْهُ**

**وَغَيْرُ مَنْ بَنَى بِهَا أَوْ وَهَبَتْ = إِلى النَّبِيِّ نَفْسَها أَوْ خُطِبَتْ**

**وَلَمْ يَقَعْ تَزْوِيجُهَا فَالعِدَّةُ = نَحْوَ ثَلاثِينَ بِخُلْفٍ أُثْبِتُوا**

## أولاده صلى الله عليه وسلم:

**كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أنجب أولاده كلهم من السيدة خديجة رضي الله عنها ما عدا إبراهيم، وأما أول أولاده استهلالاً القاسم، وكان يكنى به، ومات طفلاً، وقيل: عاش إلى أن ركب الدابة وسار على النجيبة. ثم زينب رضي الله عنها، وقيل: هي أسنُّ من القاسم. ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة، وقد قيل في كل واحدة منهن إنها أسنُّ من أختيها، وقد ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنه أن رقية أسنُّ الثلاث، وأم كلثوم أصغرهن. أما إبراهيم فقد كان من سريته مارية القبطية، وقد ولد سنة ثمان من الهجرة، وكان أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم قد بشره به، فوهب له النبي صلى الله عليه وسلم عبدًا مكافأة له، وقد مات إبراهيم وهو طفل، كما أن أولاد النبي صلى الله عليه وسلم كلهم توفوا قبله، إلا فاطمة فتأخرت عنه ستة أشهر، وقد فضلت فاطمة نساء العالمين، وقيل: بل أمها خديجة. وقيل: بل عائشة. وقيل: بل بالوقف في ذلك. انطر: زاد المعاد، 1/ 100.**

**ويقول الحافظ العراقي في ذكر أولاده:**

**كَانَ لَهُ ثَلاثَةٌ بَنُونَا = القاسِمُ الَّذِي بِهِ يَكْنُونَا**

**بِمَكَّةٍ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وُلِدْ = وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ وَهْوَ وَاحِدْ**

**وَهْوَ الصَّحِيحُ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهْ = وَقِيْلَ بَلْ هَذَانِ فَابنَانِ سِوَاهْ**

**وَالثَّالِثُ إِبْرَاهِيمُ بِالْمَدِينَةِ = عَاشَ بِها عَامًا وَنِصْفَ سَنَةِ**

**وَقِيلَ مَعْ نُقْصَانِ شَهْرٍ وَقَضَى = سِتَّةَ عَشْرَ فَرَطًا لَهُ رِضَا**

**وَمَاتَ قَاسِمٌ لَهُ عَامَانِ = وَعِدَّةُ الأَوْلاَدِ مِنْ نِسْوَانِ**

**أَرْبَعَةٌ: فَاطِمَةُ الْبَتُولُ = زَوَّجَهَا عَلِيًّا الرَّسُولُ**

**وَزَيْنَبٌ زَوَّجَهَا أَبَا العَاصْ = ابنَ الرَّبيعِ وَافِيًا ذَا إِخْلاصْ**

**بِوَعْدِهِ وَزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ = تَعَاقُبًا عُثْمَانَ ذَا النُّورَيْنِ**

**رُقَيَّةٌ فَأُمُّ كُلْثُومٍ تَلِي = وَنِعْمَ ذَاكَ الصَّهْرُ عُثْمَانُ الْوَلِي**

**وَجُمْلَةُ الأَوْلاَدِ مِنْ خَدِيجَةِ = لَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْ مَارِيَةِ**

**وَلَيْسَ فِي بَنَاتِهِ مَنْ أَعْقَبَا = إِلاَّ الْبَتُولَ طَابَ أمًّا وأَبَا**

## 

## سراريه صلى الله عليه وسلم:

**قال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية وهي أم ولده إبراهيم، وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 110.**

## مواليه صلى الله عليه وسلم:

**يقول ابن القيم: فمنهم: زيد بن حارثة بن شراحيل، حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعتقه الرسول صلى الله عليه وسلم وزوَّجه مولاته أم أيمن فولدت له أسامة. ومنهم: أسلم وأبو رافع وثوبان وأبو كبشة سليم وشقران - واسمه صالح - ورباح نوبي ويسار نوبي أيضًا - قتيل العرنيين - ومدعم وكركرة نوبي أيضًا، وكان على ثقله صلى الله عليه وسلم، وكان يمسك راحلته عند القتال يوم خيبر، وفي صحيحي البخاري ومسلم أنه الذي غلَّ الشملة ذلك اليوم فقُتل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها لتلتهب عليه نارًا". وفي الموطأ أن الذي غلَّها مدعم، وكلاهما قُتل بخيبر، والله أعلم. ومنهم: أنجشة الحادي، وسفينة بن فروخ - واسمه مهران - وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة؛ لأنهم كانوا يحمِّلونه في السفر متاعهم، فقال: "أنت سفينة". مسند أحمد. قال أبو حاتم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال غيره أعتقته أم سلمة. ومنهم: أنسة - ويكنى أبا مشرح - وأفلح وعبيد وطهمان - وهو كيسان - وذكوان ومهران ومروان، وقيل: هذا خلاف في اسم طهمان. والله أعلم. ومنهم: حنين وسندر وفضالة يماني ومأبور خصي وواقد وأبو واقد وقسام وأبو عسيب وأبو مويهبة.**

**ومن النساء: سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد وخضرة ورضوى ورزينة وأم ضميرة وميمونة بنت أبي عسيب ومارية وريحانة. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 110.**

**يقول العراقي في ذكر مواليه صلى الله عليه وسلم:**

**زَيْدٌ أُسَامَةُ ابنُهُ ثَوْبَانُ = أَنَسَةٌ وَصَالِحٌ شَقرَانُ**

**كَذَا أَبُو كَبْشَةَ وَاسْمُهُ سَلِيمْ = أَو أَوْسٌ اسْمَاهُ بِهِ أَبُو نَعِيمْ**

**كَذَا رَبَاحٌ وَيَسَارٌ مُدْعَمُ = كَذَا أَبُو رَافِعِ وَهْوَ أَسْلَمُ**

**وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ أَوْ فَثَابِتُ = أَوْ هِرْمِزٌ يَزِيْدُ خُلْفٌ ثَابِتُ**

**وَرَافِعٌ كَرْكَرَةٌ فَضَالَهْ = وَوَاقِدٌ سَفِينَةٌ فَزَارَهْ**

**طَهْمَانُ أو كَيْسَانُ أو مَهْرَانُ = مَولاهُ أَوْ ذَكْوَانُ أَوْ مَرْوَانُ**

**جَدُّ هِلالِ بنِ يَسارٍ زَيْدُ = حُنَيْنُ مَابُورٌ كَذا عُبَيْدُ**

**أَبُو عَسِيبٍ وَأبُو عُبَيْدِ = مَعَ أَبِي ضُمَيْرَةٍ سَعِيدِ**

**وَمِنْ مَوَالِيهِ أَبُو مُوهُوبَةِ = حَازوا بِهِ فَخْرًا عَلَى المَرتَبَةِ**

**وَكُلُّ مَن سُمِّي فِيهَا أَو كُنِّي = فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِمُ عَبْدُ الْغَنِي**

**وَزَادَ بَعضُهُمْ عَلَيْهِ فِي الْعَدَدْ = تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ كُلٌّ قَدْ وَرَدْ**

**أَفْلَحُ مَعْهُ أَنْجَشَهْ وَأَسْلَمُ = أَيْمَنُ بَاذَامُ وَبَدْرٌ حَاتِمُ**

**دَوْسٌ قَفِيزٌ سَابِقٌ رُوَيْفِعُ = سَعِيدٌ اثْنَانِ عُبَيْدٌ رَافِعُ**

**سَنْدَرُ سَالِمٌ كُرَيْبُ غَيْلانْ = كَذَا عُبَيْدُ اللهِ سَعْدُ سَلْمَانْ**

**مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ عَبدِ الرَّحْمَنْ = مَكْحُولُ نَافِعٌ نَفِيعٌ وَرْدَانْ**

**هُرْمُزُ وَاقِدٌ يَسَارُ شَمْعُونْ = ضُمَيْرَةٌ فُضَالَةٌ وَعَمْرُونْ**

**كَذَا نُبَيْهٌ وَنَبِيلٌ وَهِلالْ = كَذا أبو رافعٍ آخَرُ يُقَالْ**

**أَبُو الْبَشِيرِ وَأَبُو أُثَيْلَهْ = أَبُو لَقِيطٍ وَأَبُو صَفِيَّهْ**

**كَذَا أَبُو الْحَمْرَا أَبُو سَلاَّمِ = مَعْ أَبِي هِنْدٍ أَيْ الْحَجَّامِ**

**كَذَا أَبُو الْيُسْرِ أَبُو لُبَابَةِ = كَذَا أَبُو سَلْمَى مَعْ أَبِي قَيْلَةِ**

**أَمَا الإمَاءُ فذُكِرْنَ خَمْسَهْ = فِيمَا مَضَى رَضْوَى كَذَا أُمَيْمَهْ**

**رُبَيْحَةٌ رَزِينَةٌ رُكَانَةُ = كَذَاكَ قَيْسَرُ أُخْتُهُا مَارِيَةُ**

**مَيْمُونَةُ اثْنَتَانِ وَالْبَعْضُ جَعَلْ = تَيْنِ مِنَ الْخُدَّامِ فِيمَا قَدْ نَقَلْ**

## خُدَّامه:

**كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون فيما بينهم لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يمتاز عليهم؛ تواضعًا منه صلى الله عليه وسلم، ففي قصة بناء المسجد بعد الاستقرار في المدينة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشارك في عملية البناء، فكان الصحابة رضي الله عنهم يتبادرون ويسبق بعضهم بعضًا ليحملوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَبِنات البناء، فعن أم سلمة قالت: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد، جعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين؛ لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح ظهره وقال: "ابن سمية، للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية". المستدرك على الصحيحين. وهذا إسناد على شرط الصحيحين. السيرة النبوية لابن كثير 2/ 307.**

**ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة خدَّام كثيرون، يقول النووي معددًا إياهم: منهم أنس بن مالك، وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان، وربيعة بن كعب الأسلمي، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعله، إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وعقبة بن عامر الجهني، صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وبلال المؤذِّن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر. ويقال: ذو مخبر بالباء الموحدة، ابن أخي النجاشي. ويقال: ابن أخته. وبكير (شداد) بن الشداخ الليثي، ويقال: بكر. وأبو ذر الغفاري، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر مولى أم سلمة، وأبو السمح رضي الله عنهم. الجامع لأوصاف الرسول، ابن العاقولي ص119.**

**ويقول ابن القيم: فمنهم أنس بن مالك وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود صاحب نعله وسواكه، وعقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته، وبلال بن رباح المؤذن وسعد موليا أبي بكر الصديق، وأبو ذر الغفاري، وأيمن بن عبيد وأمه أم أيمن موليا النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أيمن على مطهرته وحاجته. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 110.**

**ويقول الحافظ العراقي في ذكر خُدَّامِهِ من الرجال والنساء:**

**فَأَنَسٌ أَلْزَمُهُمْ لِلْخِدْمَةِ = أسماءُ هِنْدٌ وَلَدَا حَارِثَةِ**

**كَذَا بِلالٌ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ = سَعْدٌ فَتَى الصِّدِيقِ مَعْ ذِيْ مِخْمَرِ**

**رَبِيعَةٌ مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ أَبُو = ذَرٍّ بُكَيْرٌ وَلِلَّيْثِ نُسِبُوا**

**وَابْنُ شَرِيكٍ أَسْلَعٌ فأرْبَدُ = كَذَا ابْنُ مَالِكٍ وَالاسْمُ الأَسْوَدُ**

**وَابْنُ أَخِيهِ الحَدْرَجَانِ جَزْرُ = لَهُ بِخُدَّامِ النَّبيِّ ذِكْرُ**

**وَسَابِقٌ وَسَالِمٌ قَدْ ذُكِرَا = وَقِيلَ سَلْمَى وَاعْدُدِ الْمُهَاجِرَا**

**قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَيْمَنُ ثَعْلَبَةُ = كَذَا نُعَيْمٌ أبُوهُ رَبِيعَةُ**

**كَذَا أَبُو السَّمْحِ أَبُو الحَمْرَاءِ = أَبُو عُبَيْدٍ وَمِنَ النِّسَاءِ**

**مَارِيَةُ اثْنَتَانِ مَعْ رُزَيْنَهْ = وَأَمَةُ اللهِ لِهَذِهِ ابْنَهْ**

**صَفِيَّةٌ وَخَوْلَةٌ وَخَضْرَةُ = سَلْمَى وَأُمُّ أَيْمَن بَرَكَةُ**

**وَأُمُّ عَيَّاشٍ كَذَا مَيْمُونَةُ = وَفِي الْمَوَالِي ذُكِرَتْ ذِي الْخَمْسَةُ**

## مؤذنوه صلى الله عليه وسلم:

**قال النووي: المؤذنون أربعة: بلال وابن أم مكتوم بالمدينة وأبو محذورة بمكة وسعد القرظ بقباء. قال العلماء: أضيف إلى القرظ الذي يدبغ فيه؛ لأنه كان كلما اتَّجَرَ في شيء خسر فيه، فَاتَّجَرَ في القرظ فربح فيه؛ فلزم التجارة فيه فأضيف إليه، وهو مولى عمار بن ياسر رضي الله عنه، جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنًا بقباء، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة وترك بلال الأذان، نقله أبو بكر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليؤذن فيه، فلم يزل يؤذن فيه حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف، وتوارث بنوه الأذان، وقيل: الذي نقله ابن الخطاب رضي الله عنه. الجامع لأوصاف الرسول، ابن العاقولي ص121.**

## كُتَّابه صلى الله عليه وسلم:

**قال النووي: ذكرهم الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق أنهم ثلاثة وعشرون؛ وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ والزبير وأُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ومحمد بن مسلمة وأرقم بن أبي الأرقم وأبان بن سعيد بن العاص وأخوه خالد بن سعيد وثابت بن قيس وحنظلة بن الربيع وخالد بن الوليد وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن زيد بن عبد ربه والعلاء بن عتبة والمغيرة بن شعبة والسجل. وزاد غيره: شرحبيل بن حسنة. قالوا: وكان أكثرهم كتابة زيد بن ثابت ومعاوية. الجامع لأوصاف الرسول، ابن العاقولي ص120.**

**وذكر ابن القيم أن الكُتَّاب هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ والزبير، وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وأُبيُّ بن كعب، وعبد الله بن الأرقم، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع الأسيدي، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص، وقيل: إنه أول من كتب له. ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت وكان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 110.**

**يقول الحافظ العراقي معدِّدًا كُتَّاب النبي صلى الله عليه وسلم:**

**كُتَّابُهُ اثْنَانِ وأَرْبَعُونَا = زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَانَ حِيْنَا**

**كَاتِبَهُ وَبَعْدَهُ مُعَاوِيَهْ = ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ كَانَ وَاعِيَهْ**

**كَذَا أَبُو بَكْرٍ كَذَا عَلِيُّ = عُمَرُ عُثْمَانُ كَذَا أُبَيُّ**

**وَابْنُ سَعِيدٍ خَالِدٌ حَنْظَلَةُ = كَذَا شُرَحْبِيلُ أمُّهُ حَسَنَةُ**

**وَعَامِرٌ وثَابِثُ بنُ قَيْسِ = كَذَا ابْنُ أَرْقَمَ بِغَيْرِ لَبْسِ**

**وَاقْتَصَرَ الْمِزِّيُّ مَعْ عَبْدِ الْغَنِي = مِنْهُمْ عَلَى ذِي الْعَدَدِ الْمُبَيَّنِ**

**وَزِدْتُ مِنْ مُفْتَرِقَاتِ السِّيَرِ= جَمْعًا كَثِيرًا فَاضْبِطَنْهُ وَاحْصُرِ**

**طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَابْنَ الْحَضْرَمِي = وَابْنَ رَوَاحَةٍ وَجَهْمَا فَاضْمُمِ**

**وَابْنَ الْوَلِيدِ خَالِدًا وَحَاطِبَا = هُوَ ابْنُ عَمْرٍو وَكَذَا حُوَيْطِبَا**

**حُذَيْفَةً بُرَيْدَةً أَبَانَا = ابْنَ سَعِيدٍ وَأَبَا سُفْيَانَا**

**كَذَا ابنُه يَزِيْدُ بَعْضُ مُسْلِمَهْ = الْفَتْحِ مَعْ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَهْ**

**عَمْرٌو هُوَ ابْنُ الْعَاصِ مَعْ مُغِيرَةِ = كَذَا السِّجِلُّ مَعْ أَبِي سَلَمَةِ**

**كَذَا أَبُو أَيُّوبٍ الأَنْصَارِيُّ = كَذَا مُعَيْقِيبٌ هُوَ الدَّوْسِيُّ**

**وَابْنَ أَبِي الأَرْقَمِ أَرْقَمَ اعْدُدِ= فِيهِمْ كَذَاكَ ابْنُ سَلُولَ الْمُهْتَدِي**

**كَذَا ابْنُ زَيْدٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهْ= وَالْجَدُّ عَبْدُ رَبِّهِ بِلا اشْتِبَاهْ**

**وَاعْدُدْ جُهَيمًا الْعُلا بْنَ عُتبَةِ = كَذَا حُصَينِ بْنِ نُمَيرٍ أَثْبِتِ**

**وَذَكَرُوا ثَلاثَةً قَدْ كَتَبُوا = وَارْتَدَّ كُلٌّ مِنْهُمُ وَانْقَلَبُوا**

**ابْنُ أَبِي سَرْحٍ مَعَ ابْنِ خَطَلِ= وَآخَرٌ أُبْهِمَ لَمْ يُسَمَّ لِي**

**وَلَمْ يَعُدْ مِنْهُمْ إِلَى الدِّينِ سِوَى = ابْنُ أَبِي سَرْحٍ وبَاقِيهِمْ غَوَى**

## شعراؤه وخطباؤه صلى الله عليه وسلم:

**يقول ابن القيم: كان من شعرائه الذين يذبون عن الإسلام: كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت. وكان أشدهم على الكفار حسان بن ثابت، وكعب بن مالك يعيرهم بالكفر والشرك، وكان خطيبه ثابت بن قيس بن شماس. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 124.**

**رسله صلى الله عليه وسلم:**

**يقول النووي عن رسله صلى الله عليه وسلم: أرسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبى طالب وحسن إسلامه.**

**وأرسل صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وحاطب بن أبى بلتعة اللخمي إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، فقال خيرًا، وقارب أن يُسلم، وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية وأختها سيرين، فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت. وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان فأسلما، وخلَّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى تُوُفِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأرسل سليط بن عمرو العلوي إلى اليمامة، وإلى هوذة بن علي الحنفي. وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء من أرض الشام، وأرسل المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين، فصدق وأسلم، وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن؛ ملوكهم وسوقتهم. الجامع لأوصاف الرسول، ابن العاقولي ص120.**

## أمراؤه صلى الله عليه وسلم:

**يقول ابن القيم: منهم باذان بن ساسان من ولد بهرام جور، أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كلها بعد موت كسرى، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، ثم أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها، ثم قُتل شهر، فأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، وولَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أمية المخزومي كندة والصدف، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَسِرْ إليها، فبعثه أبو بكر إلى قتال أناس من المرتدين، وولَّى زياد بن أمية الأنصاري حضرموت، وولَّى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن والساحل، وولى معاذ بن جبل الجند، وولَّى أبا سفيان صخر بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد تيماء، وولى عتاب بن أسيد مكة وإقامة الموسم بالحج بالمسلمين سنة ثمان، وله دون العشرين سنة، وولَّى علي بن أبي طالب الأخماس باليمن والقضاء بها. وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها، وولى الصدقات جماعة كثيرة؛ لأنه كان لكل قبيلة والٍ يقبض صدقاتها، فمن هنا كثر عمال الصدقات، وولَّى أبا بكر إقامة الحج سنة تِسعٍ، وبعث في إثره عليًّا يقرأ على الناس سورة براءة، فقيل: لأن أولها نزل بعد خروج أبي بكر إلى الحج. وقيل: بل لأن عادة العرب كانت أنه لا يحل العقود ويعقدها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته. وقيل: أردفه به عونًا له ومساعدًا؛ ولهذا قال له الصديق: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور. وأما أعداء الله الرافضة، فيقولون: عزله بعليٍّ. وليس هذا ببدع من بهتهم وافترائهم.**

**كانت هذه الحجة قد وقعت في شهر ذي الحجة، أو كانت في ذي القعدة من أجل النسيء، على قولين، والله أعلم. ابن القيم، زاد المعاد 1/ 121.**

## وصف النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وليس كما صوَّرُوه

**وجهه:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم ذا وجه مستوٍ أملس، بدا مخروطًا أسيلاً كأنه قد سن عنه اللحم، فلم يكن وجهه مستديرًا غاية التدوير، أو مستويًا غاية الاستواء، بل صيغ بين الاستدارة والاستواء، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمطَهَّم المطهم: هو المنتفخ الوجه. ولا المكَلْثم، المكلثم: هو المدور الوجه. وكان في وجهه تدوير. رواه الترمذي والبغوي في شرح السنة. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مستديرًا. رواه أحمد.**

**ولقد لاح على هذا الوجه الجميل الجليل جبين مشرق، زُيِّن ببشرة رقيقة، وضح معها المحيا، وحسنت بها الملامح، وبدا كالقمر يتلألأ، يقول هند بن أبي هالة في وصفه النبي صلى الله عليه وسلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه كتلألؤ القمر ليلة البدر. رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني في الكبير، والسيوطي في الجامع الصغير.**

**وعن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا. رواه البخاري ومسلم.**

**وخرَّج هذا الحديث ابن أبي خيثمة من حديث إبراهيم بن يوسف، كما رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث أبي نعيم عن زهير عن أبي إسحاق قال: سُئل البراء: أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا، مثل القمر.**

**وروى البيهقي في الدلائل، عن سماك، أنه سمع جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال له رجل: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه مثل السيف؟ قال جابر: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديرًا. قال البيهقي: رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى.**

**وعن أشعث عن أبي إسحاق عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان أي: مضيئة. وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو أحسن كان في عيني من القمر. وفي لفظ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت أماثل بينه وبين القمر. أخرجه الترمذي في الشمائل.**

**وخرَّج البخاري من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.**

**وخرج أيضًا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم يومًا مسرورًا، وأسارير وجهه تبرق، فقال: "ألم تسمعي ما قال المدلجي؟ ورأى زيدًا وأسامة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض".**

**وخرجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق، وقال أبو إسحاق الهمداني: عن امرأة من همدان سماها، قالت: حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم مرات، فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن، عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبيه إذا مرَّ بالحجر. قالت: كان كالقمر ليلة البدر، ولم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.**

**وخرج عبد الله بن محمد بن إسحاق الفاكهي من حديث أسامة بن زيد، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: لو رأيته لقلت: الشمس طالعة. انظر: إمتاع الأسماع فيما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي 2/ 152.**

**وقالت عائشة رضي الله عنها: استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقطت عني الإبرة، فطلبتها فلم أقدر عليها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة لشعاع نور وجهه. رواه ابن عساكر، والأصبهاني في الدلائل، والديلمي في مسند الفردوس، كما في الجامع الكبير للسيوطي.**

**وجاء في وصف أم معبد رضي الله عنها قولها: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، الأبلج: أي الحسن المشرق المضيء. وسيمًا قسيمًا. رواه الطبراني والحاكم وابن سعد.**

**وعن أشعث بن أبي الشعثاء قال: سمعت شيخًا من بني كنانة، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كأحسن الرجال وجهًا. رواه ابن شبة في أخبار المدينة، ورجاله ثقات.**

**يتبين لنا من جملة هذه الأحاديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم حباه ربه جمال المنظر، وحسن السمت، وصفاء الوجه، وبهاء الصورة، ومن أُتِيَ وجهًا كهذا الوجه فإن العيون لا تمل من النظر إليه، والنفوس لا تسأم من الجلوس بين يديه؛ فهو صلى الله عليه وسلم في ذروة سنام الحسن، وقمة صباحة الوجه، كأنما أفرغ في قالب من فضة، لم يُر أوضأ ولا أضوأ منه، إذا سُرَّ استنار وجهه وفاض نوره، وإذا رآه الرائي حسب أن قطعة من القمر استقرت على الأرض.**

**ولنا وقفة مع حسن الصورة وبهاء الطلعة، فحسن الوجه ينبئ عن نفس زكية تميل إلى فعل الجميل، وقد وقع بين الخَلق والخُلق تناسب قوي، وصلة قريبة؛ فإنه قلَّ أن تجد صورة حسنة تخفي وراءها نفسًا رديئة، وعزَّ أن تطالع عينك وجهًا حسنًا، ولا يقع في نفسك منه مظنة لفعل الجميل، فطلاقة الوجه واستبشاره بريد ما في النفس وعنوان له.**

**وقد أنشد بعضهم:**

**سيدي أنت أحسن الناس وجهًا = كن شفيعي في هول يوم كريه**

**قد روى صحبك الكرام حديثًا = اطلبوا الخير من حسان الوجوه**

**يقول الكلاباذي: والذين وجوههم طلقة مستبشرة بسطة، فإن ذلك يدل على سعة صدورهم، وحسن أخلاقهم، وتحريهم مسرة الناس، ومن اتسع صدره لا يصعب عليه قضاء الحاجة لأخيه، ومن حسن خلقه استحيا من الرد، ومن اتسع صدره يسخو بما في يديه، فإن البخل من ضيق الصدر؛ لأنه يخاف أن يحتاج إلى ما يطلب منه، فيتمسك به ضنًّا به؛ لحاجته إليه، لضيق صدره عن تحمل الخصاصة إن دُفع إليها. ومَن تحرَّى مسرة الناس، يسارع إلى قضاء حوائجهم؛ لأن طلاقة وجهه وبسطه إنما يريد به مسرة الناس، ويطلب محابهم وقضاء حوائجهم مسرتهم ومحابهم. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار، للكلاباذي 1/ 117.**

**قال قتادة: ما بعث الله تعالى نبيًّا إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت، حتي بعث نبيكم، فبعثه حسن الوجه حسن الصوت، ولم يكن يرجع بل كان يمد بعض المد. وقيل لابن دلبر المنجم: ما الدليل على أن المشتري سعدٌ؟ فقال: حسنه. وقال الفلاسفة: قلَّ صورة حسنة تتبعها نفس رديئة. منظره ينبيك عن مخبره. نقش الطوالع مقروء من الطين. كفاك منظره إيضاح مخبره. في حمرة الخد ما يغني عن الخجل.**

**وقد وقعت طلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم وصباحته موقعًا حسنًا في نفوس أصحابه، حملهم على توسم العفو والصفح فيه، وتوقعه منه إذا وقع منهم ما يغضبه أو يثير حفيظته، ما لم يكن الغضب نابعًا عن انتهاك حدٍّ من حدود الله، أو تعدٍ على حرماته، أما ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم فهو صافح عنه، مغتفر لأصحابه ما يغضبه في نفسه، وهذا من خلقه الكريم، كما قال رب العزة:**  عليه السلام رضي الله عنهم عليه السلام صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه رضي الله عنه رضي الله عنه رضي الله عنه رضي الله عنهم رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم عليه السلام  **[التوبة: 128].**

**ولقد مدحه عمه أبو طالب بقوله:**

**وأبيض يستسقي الغمام بوجهه = ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

**كما أن هذا الوجه الطلق الصبوح كان يبعث على الأمل والتفاؤل والاستبشار، ولقد بلغ من استبشار الصحابة بوجه النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يطلبون إليه أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى يستسقيه، عندما كانت تحل بهم سنوات القحط والجدب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقام إليه الناس فصاحوا، فقالوا: يا نبي الله، قحط المطر، واحمر الشجر، وهلكت البهائم، فادع الله أن يسقينا. فقال: "اللهم اسقنا". قالوا: وايم الله ما نرى في السماء قزعة من سحاب. قال: فنشأت سحابة فانتشرت، ثم إنها مطرت، فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى وانصرف، فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، صاحوا وقالوا: يا نبي الله، تهدمت البيوت، وانقطعت السبل، فادع الله يحبسها عنا. قال: فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا". قال: فتقشعت عن المدينة، فجعلت تمطر حولها وما تقطر بالمدينة قطرة. قال: فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه.**

**وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: يجيش: يتدفق ويفيض. والميزاب: أنبوبة تُركَّب في جانب البيت من أعلاه؛ لينصرف منها ماء المطر.**

**وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى ثمال: غيَّاث. عصمة للأرامل**

**وهو قول أبى طالب. رواه البخاري.**

**جاء في عمدة القاري: ومناسبة هذا التعليق للترجمة تؤخذ من قوله: يستسقى؛ لأن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - يخبر عن استسقاء النبي وهو ينظر إلى وجهه الكريم، ولم يكن استسقاؤه في ذلك إلا عن سؤال عنه، ويوضح ذلك ما رواه البيهقي في "الدلائل"، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي فقال: يا رسول الله، والله لقد أتيناك وما لنا بعير يئط، أطَّأطًّا وأطيطًا: صوت. ولا صبي يغطُّ، غطَّ في نومه غطًّا وغطيطًا: صات، وردد النفس في خياشيمه. ثم أنشد:**

**أتيناك والعذراء يُدمَى لبانها = وقد شُغلت أم الصبي عن الطفل**

**وألقى بكفيه الصبي استكانة = من الجوع ضعفًا ما يُمِرُّ وما يُحْلِي**

**ولا شيء مما يأكل الناس عندنا = سوى الحنظل العاهي**

**العاهي: فاعل من العاهة، وهي الآفة. والعِلْهِز الفَسْل العِلْهِز (بكسر العين المهملة، وسكون اللام، وكسر الهاء، وفي آخره زاي): هو شيء يتخذونه في سني المجاعة؛ حيث يخلطون الدم بأوبار الإبل، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه. الفَسْل (بفتح الفاء، وسكون السين المهملة): هو الشيء الرديء الرذل، يقال: فسله وأفسله. قاله ابن الأثير. ويُروى بالشين المعجمة، وقال في باب الشين: الفشل والفزع والخوف والضعف، ومنه حديث الاستسقاء.**

**وليس لنا إلا إليك فرارنا = وأين فرار الناس إلا إلى الرسل؟!**

**فقام رسول الله يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "اللهم اسقنا..". الحديث، وفيه: فجاء أهل البطانة يصيحون: الغرق الغرق. فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، ثم قال: "لله در أبي طالب! لو كان حاضرًا لقرت عيناه، مَن ينشدنا شعره؟". فقال عليٌّ: يا رسول الله، كأنك أردت قوله: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه.. فذكر أبياتًا منها، فقال رسول الله: "أجل". فقام رجل من بني كنانة فأنشد أبياتًا:**

**لك الحمد والحمد مِمَّن شكرْ = سُقِينا بوجه النبي المطرْ**

**دعا الله خالقه دعوة = وأشخص معها إليه البصر**

**فلم يك إلا كإلقاء الردا = أو اسرع حتى رأينا الدرر**

**وكان كما قال له عمه = أبو طالب أبيض ذو غُرر**

**به الله يسقي صوب الغمام = وهذا العيان لذاك الخبر**

**فمَن يشكر الله يلقَ المزيد = ومن يكفر الله يلقَ الغِيَر**

**فقال رسول الله: "إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت". عمدة القاري، 7/ 31.**

**ولقد ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسمت، فقال لها: مِمَّ تبسمت يا عائشة؟ فقالت: تأملت وجهك، ولو كان أبو كبير الهذلي رآك ما قال ما قال. فقال عليه الصلاة والسلام: "وما قال؟". فأنشدت:**

**وإذا نظرت إلى أسرة وجهه = برقت كبرق العارض المتهلل ربيع الأبرار 1/ 135.**

**لونه:**

**كان صلى الله عليه وسلم أزهر اللون صافيه، مع إشراق واضح فيه، ليس بالآدم أي: شديد السمرة. الشديد الأدمة، ولا بالأبيض الأمهق أي: شدة البياض والبرص. الشديد البياض، وإنما يخالط بياضه حمرة، فعن أنس رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم. والأزهر: هو الأبيض المستنير المشرق، وهو أحسن الألوان. متفق عليه. وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مشربًا بياضه حمرة. رواه أحمد والترمذي والبزار وابن سعد وأبو يعلى، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.**

**وعن أبي الطفيل رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مليحًا مقصدًا. رواه مسلم.**

**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض تعلوه حمرة. رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: وفيه اثنان: أحدهما يحيى بن حاتم ولم أعرفه، والآخر بشر بن مهران، وثَّقه ابن حبان، وضعَّفه أبو حاتم. وبقية رجاله ثقات. وقد تقدم هذا من حديث عفيف الكندي. رواه أحمد وغيره، ورجاله ثقات.**

**قال الكلاباذي: قال ابن حجر في حديث أنس المتقدم: قوله: أزهر اللون. أي: أبيض مشرب بحمرة، وقد ورد ذلك صريحًا في روايات أُخر صريحة، عند الترمذي والحاكم وغيرهما: كان أبيض مشربًا بياضه بحمرة. فيض القدير، 5/ 94.**

**قال الكلاباذي: قال في الروض: الزهرة لغة إشراق في اللون؛ أيّ لون كان من بياض أو غيره، وقول بعضهم: إن الأزهر الأبيض خاصة، والزهر اسم للأبيض من النوار فقط. خطَّأه أبو حنيفة فيه، وقال: إنما الزهرة إشراق في الألوان كلها. وفي حديث يوم أُحد، نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تزهران تحت المغفر. انتهى. المرجع السابق.**

**وهذا اللون المشرق تحبه العرب وتتمادح به، يقول القلقشندي في صبح الأعشى: والألوان في البشر ترجع إلى ثلاثة أصول: وهي البياض والسمرة والسواد. ويعبر عن السواد بشدة الأدمة، وربما عبر عن البياض برقة السمرة. ويستحسن من هذه الألوان البياض، وأحسن البياض ما كان مشربًا بحمرة. وقد جاء في حديث ضمام بن ثعلبة أنه حين سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم عند وفوده عليه بقوله: أيكم ابن عبد المطلب؟ قيل: هو ذاك الأمغر المتكئ. والأمغر هو المشرب بحمرة، أخذًا من المغرة؛ وهي الصبغ المعروف.**

**وقد تطلق العرب على هذا اللون أنه أسمر؛ ولهذا - كما يقول ابن حجر في فتح الباري: جاء في حديث أنس عند أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسمر. وقد رد المحب الطبري هذه الرواية بقوله: في حديث الباب من طريق مالك عن ربيعة: ولا بالأبيض الأمهق، وليس بالآدم. والجمع بينهما ممكن، وأخرجه البيهقي في "الدلائل" من وجه آخر عن أنس، فذكر الصفة النبوية، قال: كان رسول صلى الله عليه وسلم أبيض بياضه إلى السمرة. وفي حديث يزيد الرقاشي عن ابن عباس في صفة النبي صلى الله عليه وسلم: رجل بين رجلين، جسمه ولحمه أحمر. وفي لفظ: أسمر إلى البياض. أخرجه أحمد، وسنده حسن. وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة، والمنفي ما لا يخالطه، وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق". فتح الباري، ابن حجر 10/ 356.**

**ولهذا اللون أيضًا إشراق وصفاء يبهج الناظرين من غير فتنة، كأنما صيغ من فضة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض؛ كأنما صيغ من فضة رجل الشعر. أخرجه الترمذي في الشمائل، وهو صحيح بشواهده.**

**ومعنى قوله: كان أبيض كأنما صيغ. أي: خلق، من الصوغ، يعني الإيجاد؛ أي الخلق.**

**قال الزمخشري: من المجاز: فلان حسن الصيغة؛ وهي الخلقة، وصاغه الله صيغة حسنة، وفلان بين صيغة كريمة؛ من أصل كريم.**

**وقوله: من فضة. باعتبار ما كان يعلو بياضه من الإضاءة، ولمعان الأنوار، والبريق الساطع، فلا تدافع بينه وبين ما يأتي عقبه، من أنه كان مشربًا بحمرة، وآثره لتضمنه نعته بتناسب التركيب، وتماسك الأجزاء، فلا اتجاه لجعله من الصوغ بمعنى سبك الفضة. وقد نعته عمه أبو طالب بقوله:**

**وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

**وفي رواية لأحمد: فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة. وفي أخرى للبزار ويعقوب بن أبي سفيان بإسناد قال ابن حجر: قوي عن سعيد بن المسيب، أنه سمع أبا هريرة يصفه فقال: كان شديد البياض. وفي رواية لأبي الطفيل عن الطبراني: ما أنسى شدة بياض وجهه، مع شدة سواد شعره. فيض القدير 5/ 88.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة لونه:**

**أَبْيَض قَدْ أُشربَ حُمْرةً عَلَتْ = وفي الصحيحِ أزهرُ اللونِ ثَبَتْ**

**رأسه:**

**كان صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس، عظيم الهامة، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس، عظيم العينين، إذا مشى تكفَّأ؛ كأنما يمشي في صعد، إذا التفت التفت جميعًا.**

**وعن هند بن أبي هالة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة. وعظم هامته صلى الله عليه وسلم فيه دلالة على تقدمه، وعظم رياسته.**

**شَعْرُهُ:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم ذا شعر شديد السواد، رَجِلاً كثير الشعر، لا مسترسلاً كشعر الروم، ولا جعدًا كشعر الزنوج، وإنما بدا كهيئة المتمشط، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجِل الشعر، ليس بالسبط، الشعر السبط: السهل والمسترسل الذي لا جعودة فيه. ولا الجعد القطط. الجعد القطط الذي زادت جعودته، والجعودة الانثناء. رواه أحمد في المسند، أخرجه أبو يعلى في مسنده بإسناد حسن.**

**وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس راجله. أخرجه أحمد.**

**وكان صلى الله عليه وسلم يصل شعره إن تدلى إلى أنصاف أذنيه حينًا، قال حميد عن أنس صلى الله عليه وسلم: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنصاف أذنيه. رواه مسلم.**

**وأحيانًا يصل بعد الإسدال والإرسال إلى شحمة أذنيه، أو بين أذنيه وعاتقه، رَوَى أبو داود من حديث عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شحمة أذنيه.**

**وللبخاري من حديث أبي إسحاق: سمعت البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر بلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أرَ شيئًا قط أحسن منه.**

**وعن أبي قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن شعر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان شعر رسول الله رَجِلاً ليس بالسبط ولا الجعد، بين أذنيه وعاتقه. متفق عليه.**

**وأحيانًا أُخر يضرب منكبيه إن تركه بعد الحلق حينًا من الزمان، وهذا أقصى طول له، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضرب شعره منكبيه. متفق عليه.**

**وأخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله، شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير. وروى أبو داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة، ودون الجمة.**

**يتبين مما سبق أن الروايات التي تصف طول شعره صلى الله عليه وسلم قد تعددت، وهي توهم لأول وهلة بالتضارب، ولكن عند النظر المتأني نجد أن كلاًّ منها تنقل حالة من حالاته في الأوقات المختلفة؛ لأن كل واحد من الرواة كان يخبر بحالته التي رآه عليها.**

**ففي أحاديث هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له جمة تبلغ قريبًا من منكبيه، وقيل: تبلغ شحمة أذنيه. وقيل: يضرب شعره منكبيه. وليس ذلك بإخبار عن وقت واحد فتتضاد الآثار، وإنما ذلك إخبار عن أوقات مختلفة، يمكن فيها زيادة الشعر إذا ما ترك قصِّه، فكان إذا غفل عنه بلغ منكبيه، وإذا تعاهده وقصَّه بلغ شحمة أذنيه أو قريبًا من منكبيه، فأخبر كل واحد عما شاهد وعاين. شرح ابن بطال 17/ 187.**

**قال النووي: قال القاضي: والجمع بين هذه الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، وهو الذي بين أذنيه وعاتقه، وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه. قال: وقيل: بل ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب، وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين، فكان يقصر ويطول بحسب ذلك. شرح النووي على مسلم، 15/ 91.**

**وقد اختلف الناس في جعودة الشعر وسبوطته، أيهما أحسن؟ فذهب قوم إلى استحسان الجعودة، وهي انقباض الشعر بعض انقباض، وهو مما يستحسنه العرب، وإليه ذهب الفقهاء، حتى لو شرط البائع في عبد كونه جعد الشعر، وظهر سبط الشعر، رد بذلك بخلاف العكس. وذهب آخرون إلى استحسان السبوطة، وهي استرسال الشعر وانبساطه من غير انكماش، وأكثر ما يوجد ذلك في الترك ومن في معناهم. ثم الذاهبون إلى استحسان الجعودة يستحسنون التواء شعر الصدغ. صبح الأعشى 1/ 197.**

**ولقد كان صلى الله عليه وسلم يتعهد شعره من حين لآخر، ويمشطه بالمشط، فيبدو كأنه حبك الرمل، أو كأنه المتون التي تكون في الغدر إذا سفتها الرياح، فإذا مكث لم يرجِّل أخذ بعضه بعضًا، فيرى متحلِّقًا كالخواتم، وكان صلى الله عليه وسلم أول مرة قد سدل الثوب أو الشعر أو الستر: أرخاه وأرسله. ناصيته بين عينيه، كما تُسدل نَوَاصي الخيل، ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرق ففرق.**

**أما غدائر الغدائر: ضفائر الشعر، وكل ما طال منه. والغديرة: الخصلة المضفورة من الشعر. شعره، فكان صلى الله عليه وسلم ربما يجعلها أربعًا، يخرج الأذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها، ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، وتخرج الأذنان ببياضهما من بين تلك الغدائر، كأنها توقد الكواكب الدرية الدري: المضيء الشديد الإنارة. من سواد شعره. فعن أم هانىء قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم له أربع غدائر. وفى لفظ: أربع ضفائر.**

**وأما عن صفة ترجيله، فكان صلى الله عليه وسلم يترجل غبًّا، الغب من أوراد الإبل: أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا ثم تعود، فنقله إلى الزيارة وإن جاء بعد أيام. والغب: فعل الأمر والقيام به حينًا بعد حين. روى الترمذي في الشمائل عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يترجل غبًّا. وليس هناك معارضة بين هذا الحديث وظاهر الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "مَن كان له شعر فليكرمه". رواه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر السلسلة الصحيحة. الذي يحث على تزيين الشعر وترجيله وتدهينه وتعاهده بالنظافة والغسل؛ لأنه كما يقول المنذري: يحتمل أن يكون النهي عن الترجل إلا غبًّا محمولاً على من يتأذى بإدمان ذلك المرض، أو شدة برد، فنهاه عن تكلف ما يضره. ويحتمل أنه نهي عن أن يعتقد أن ما كان يفعله أبو قتادة من دهنه مرتين أنه لازم، فأعلمه أن السنة من ذلك الإغباب به، لا سيما لمن يمنعه ذلك من تصرفه وشغله، وأن ما زاد على ذلك ليس بلازم، وإنما يعتقد أنه مباح؛ من شاء فعله ومن شاء تركه. ا ه. وقد قال الإمام ابن القيم تعليقًا على كلام ابن المنذر: وهذا لا نحتاج إليه. والصواب: أنه لا تعارض بينهما بحال، فإن العبد مأمور بإكرام شعره، ومنهي عن المبالغة والزيادة في الرفاهية والتنعم، فيكرم شعره، ولا يتخذ الرفاهية والتنعم ديدنه، بل يترجل غبًّا. هذا أولى ما حمل عليه الحديثان، وبالله التوفيق. عون المعبود، 9/ 201.**

**وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ ترجيله من الجهة اليمنى، ثم يفرق رأسه، ويمشط الشق الأيمن ثم الشق الأيسر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن في طهوره - أي الابتداء باليمين - إذا تطهر، وفي ترجله إذا ترجل، وفي انتعاله إذا انتعل. رواه مسلم. وعنها - أيضًا - أنها قالت: كنت إذا أردت أن أفرق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم صدعت الفرق من يافوخه، وأرسل ناصيته بين عينيه. أخرجه أبو داود.**

**ولقد كان صلى الله عليه وسلم أول الأمر يسدل شعره - أي يرسله - مخالفة منه للكفار؛ حيث كانوا يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون، فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عدل عن ذلك وصار يفْرُقُه؛ فاستُحبَّ الفرق، وفرق شعر الرأس هو قسمته في المفرق، وهو وسط الرأس. وهو آخر الأمرين منه صلى الله عليه وسلم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد. متفق عليه.**

**أما عن عدد المرات التي حلق النبي صلى الله عليه وسلم شعره فيها بالكلية، فيقول الإمام النووي: لم يحلق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه في سني الهجرة إلا عام الحديبية، ثم عام عمرة القضاء، ثم عام حجة الوداع.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة شعره صلى الله عليه وسلم:**

**وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ رَجْلُ الشَّعَرْ = لا سَبِطٌ وَلا بجَعْدٍ الْخَبَرْ**

**وَعَنْ عَلِيٍّ سَبِطٌ لَمْ يَثْبُتِ = إِسْنَادُهُ وَكَانَ كَثَّ اللّحْيَةِ**

**ويقول أيضًا:**

**بَعِيدُ بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ شَعَرُهْ = يَبْلُغُ شَحْمَةً لِلأُذْنِ يُوفِرُهْ**

**مَرَّةً أُخْرَى فَيَكُونُ وَفْرُهُ = يَضْرِبُ منْكبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهُ**

**يَحْلِقُ رَأَسَهُ لأَجْلِ النُّسُكِ = وَرَبَّمَا قَصَّرَهُ فِي نُسُكِ**

**وقَدْ رَوَوا لا تُوضَعُ النَّوَاصِي = إِلاَّ لأَجْلِ النُّسُكِ المحَّاصِ**

**شيبه ولون شعره:**

**لم يضرب الشيب شعر الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان قليل الشيب، لم يُرَ في شعره بياضًا سوى شعيرات معدودات في مقدم لحيته، وفي الرأس نبذ يسير. ولقلة هذه الشعرات؛ عدها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فقد سُئِل أنس بن مالك رضي الله عنه: أخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنه لم يرَ من الشيب إلا نحو سبعة عشر أو عشرين شعرة في مقدم لحيته. أخرجه ابن ماجه في سننه. وصححه الألباني في مختصر الشمائل. وأخرج البخاري نحوه.**

**كما أخبر ابن سعيد أنه ما كان في لحية النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه إلا سبع عشرة شعرة بيضاء. وفي بعض الأحاديث ما يفيد أن شيبه لا يزيد على عشرة شعرات، يواريهن الدهن ويخفيهن إذا ادهن صلى الله عليه وسلم، وكان دهنه صلى الله عليه وسلم الطيب والحناء.**

**وهذه الشعرات شابت من كثرة تدبر القرآن، والخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شبت. قال: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت". أخرجه الترمذي في سننه، والحاكم في المستدرك. وفي رواية: "شيبتني هود وأخواتها". رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. كما رواه البزار في مسنده، وعبد الرزاق في مصنفه.**

**وقد استقرت هذه الشعرات البيض في مفرق رأسه، وفي لحيته أسفل الشفة، أو بينها وبين الذَّقَن، وهي العنفقة الواردة في رواية البخاري من حديث حريز بن عثمان: أنه سأل عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال: أرأيت النبي صلى الله عليه وسلم كان شيخًا؟ قال: كان في عنفقته العنفقة الشعر الذي بين الشفة والذقن. شعرات بيض.**

**أما ما رواه قتادة قال: سألت أنسًا: هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنما كان شيء في صُدْغيه. رواه البخاري. والصُّدْغ (بضم المهملة، وإسكان الدال، بعدها معجمة): ما بين الأذن والعين، ويُقال ذلك أيضًا للشعر المتدلي من الرأس في ذلك المكان. فمغاير للحديث السابق أن الشعر الأبيض كان في عنفقته، ووجه الجمع ما وقع عند مسلم من طريق سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، قال: لم يخضب رسول الله، وإنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين، وفي الرأس نَبْذ. أي: متفرق. وعرف من مجموع ذلك أن الذي شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها. ومراد أنس رضي الله عنه أنه لم يكن في شعره ما يحتاج إلى الخضاب، وقد صرح بذلك في رواية محمد بن سيرين، قال: سألت أنس بن مالك: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب؟ قال: لم يبلغ الخضاب. ولمسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه لفعلت. زاد ابن سعد والحاكم: ما شانه بالشيب. ولمسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه: فقد شَمِط مقدمُ رأسه ولحيته، وكان إذا ادَّهن لم يتبين، فإذا لم يدهن تبين. وأما ما رواه الحاكم وأصحاب السنن من حديث أبي رمثة، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران، وله شعر قد علاه الشيب، وشيبه أحمر مخضوب بالحناء. فهو موافق لقول ابن عمر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالصفرة. وقد تقدم في الحج وغيره، والجمع بينه وبين حديث أنس أن يحمل نفي أنس على غلبة الشيب حتى يحتاج إلى خضابه، ولم يتفق أنه رآه وهو مخضب، ويحمل حديث من أثبت الخضب على أنه فعله لإرادة بيان الجواز ولم يواظب عليه.**

**وأما ما تقدم عن أنس وأخرجه الحاكم من حديث عائشة، قالت: ما شانه الله ببيضاء. فمحمول على أن تلك الشعرات البيض لم يتغير بها شيء من حسنه صلى الله عليه وسلم، وقد أنكر أحمد إنكار أنس أنه خضب، وذكر حديث ابن عمر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخضب بالصفرة وهو في الصحيح، ووافق مالك أنسًا في إنكار الخضاب وتأول ما ورد في ذلك. فتح الباري، 1/ 358.**

**وأما قول ربيعة: رأيت شعره أحمر. فقد قال ابن الجوزي عنه: أحمر من الطيب في هذا القول بعد. والظاهر أنه أحمر من الخضاب؛ لأنه قد روي عنه أنه كان يخضب شيبته بالحناء.**

**أذناه وسمعه:**

**كانت أذناه صلى الله عليه وسلم تامتين، واستدارتا في اكتمال، من غير استرخاء أو إقبال على الوجه، وكانتا متناسقتين مع قسمات وجهه وحجم رأسه صلى الله عليه وسلم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تام الأذنين. أخرجه ابن سعد، وابن عساكر.**

**أما سمعه صلى الله عليه وسلم، فقد وردت أحاديث تثبت له سماع أهل القبور وعذابهم، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟". فقال رجل: أنا. قال: "فمتى مات هؤلاء؟". قال: ماتوا على الإشراك. فقال: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه". رواه مسلم.**

**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يمشيان بالبقيع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بلال، هل تسمع ما أسمع؟". قال: لا والله يا رسول الله، ما أسمعه. قال: "ألا تسمع أهل القبور يعذبون؟". رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.**

**وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد أمشي خلفه، إذ قال: "لا هديت لا هديت". قال أبو رافع: فالتفت فلم أرى أحدًا، فقلت: يا رسول الله، ما شأني؟ قال: "لست إياك أريد، ولكن أريد صاحب القبر، يُسأل عني فيزعم أنه لا يعرفني". فإذا قبر مرشوش عليه حين دفن صاحبه. رواه الطبراني في المعجم الكبير.**

**جبينه:**

**الجبين هو ما اكتنف الجبهة من جهة اليمين والشمال، وهو غير الجبهة؛ فالجبهة بين جبينين.**

**ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم واسع الجبين، في استواء وامتداد طولاً وعرضًا، في تناغم وتلاءم بديع مع تقاسيم وجهه صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيل الجبين. أخرجه عبد الرازق. والأسيل: هو المستوي. وعنه أيضًا أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفاض الجبين. رواه ابن عساكر، والبزار بنحوه. ومُفاض الجبين: أي واسع الجبين.**

**ولقد وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: كان صلى الله عليه وسلم أجلى الجبهة، إذا طلع جبينه من بين الشعر، أو طلع في فلق الصبح، أو عند طفل الليل، أو طلع بوجهه على الناس، تراءوا جبينه كأنه ضوء السرج المتوقد يتلألأ. رواه البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر.**

**وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان صلى الله عليه وسلم صلت الجبين. رواه ابن سعد، وابن عساكر. وصلت الجبين: أي واسع، وقيل: أملس. وقيل: بارز الجبين.**

**والعرب تحمد سعة الجبين وتمتدحها، وهي صفة جمال عند أصحاب الذوق السليم، يقول القلقشندي: ومنها: وضوح الجبين، وسعة الجبهة، وانحسار الشعر عنها، فيستقبح الغمم، وهو عموم الجبهة أو بعضها بشعر الرأس. صبح الأعشى 1/ 197.**

**حاجباه:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم أزج الحواجب؛ الحاجب: هو ما فوق العين بلحمه وشعره، أو هو الشعر الذي فوق العظم وحده. وسمي به؛ لحجبه الشمس عن العين؛ أي منعه لها. وعدل عن الحاجبين إلى الحواجب؛ إشارة إلى المبالغة في امتدادهما، حتى صارا كعدة حواجب. أي: له حاجبان غزيرا الشعر من غير زبب، الزبب: كثرة شعر الحاجب. طال طرفاهما وامتدا إلى مؤخر العين من غير قرن، حتى كأنهما خُطَّا بقلم، وهذان الحاجبان قويان ورقيقان مع تقوس بديع فيهما، ومتصلان اتصالاً خفيفًا في نقاء كأنه الفضة الخالصة، لا يكاد يرى اتصالهما إلا إذا كان مسافرًا؛ وذلك بسبب غبار السفر.**

**عن أم معبد رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزج، الزجج: طول الحاجبين ودقتهما، وسبوغهما إلى مؤخر العينين أقرن. رواه الطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرك. والقرن: أن يطول الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما.**

**وهذا خلاف ما وصفه به هند بن أبي هالة؛ لأنه قال في وصفه: سوابغ في غير قرن. ولا أراه إلا كما ذكر ابن أبي هالة. وقال الأصمعي: كانت العرب تكره القرن، وتستحب البلج. والبلج: أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقيًّا. دلائل النبوة 1/ 269.**

**ويعضده حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه البيهقي في الدلائل، وهي أعلم الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزج الحاجبين، سابغهما من غير قرن بينهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين، حتى كأن ما بينهما الفضة المخلصة، بينهما عرق يدره الغضب، لا يرى ذلك العرق إلا أن يدره الغضب. رواه البيهقي في الدلائل. ويقويه أيضًا نعت عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أغر أبلج، الأبلج: النقي ما بين الحاجبين من الشعر. أهدب الأشفار. رواه أحمد، وابن سعد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.**

**يتضح مما سبق أن نفي القرن الوارد في حديث هند هو الصحيح في صفته صلى الله عليه وسلم، وليس ما وصفته به أم معبد من أنه كان أقرن. ومن الممكن الجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالأقرن حقيقة، ولا بالأبلج حقيقة، بل كان بين حاجبيه فرجة يسيرة، لا يتبينها الرائي إلا إذا دقق النظر فيها، أو أن القرن المذكور في وصف أم معبد، كان يُرَى أثناء سفره صلى الله عليه وسلم من أثر الغبار. فمن وصفه بأنه أقرن، وصفه على حالته التي رآه عليها في السفر، ولا ريب أن وصف أم معبد له صلى الله عليه وسلم كان في السفر.**

**يقول الثعالبي في فقه اللغة عن الحاجب: من محاسنه: الزجج والبلج. ومن معائبه: القرن والزَّبب والمعَط. فأما الزجج؛ فدقة الحاجبين وامتدادهما، حتى كأنهما خُطَّا بقلم. أما البلج؛ فهو أن تكون بينهما فرجة، والعرب تستحب ذلك، وتكره القرن وهو اتصالهما. والزبب كثرة شعرهما، والمعط تساقط الشعر عن بعض أجزائهما.**

**ومنها: بلج الحاجبين وزججهما. فالبلج: انقطاع شعر الحاجبين؛ بألا يكون بينهما شعر يصل ما بينهما، وهو خلاف القرن. وربما استحسن الخفي من القرن، وهو الذي دق فيه شعر ما بين الحاجبين، حتى لا يظهر فيه إلا خضرة خفية.**

**والزجج: دقة الحاجب مع طوله بحيث ينتهي إلى مؤخر العين. وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أزج الحاجبين.**

**ويستحسن في الحاجبين سواد شعرهما، وأن يكونا مقوسين، وأن يشبه تقويسهما بالنون تارة، وبالقوس أخرى. صبح الأعشى، 1/ 197.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة حاجبيه:**

**أَزَجُّ فِي غَيْرِ قَرَنْ إِذَا غَضِبْ = بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبْ**

**عيناه:**

**كان صلى الله عليه وسلم أشكل العينين؛ أي إن عينيه قد أشرب بياضهما بحمرة على الصحيح. قال القسطلاني في المواهب: الشُّكلة - بضم الشين - هي الحمرة تكون في بياض العين، وهي محبوبة محمودة. وقال الزرقاني: قال الحافظ العراقي: هي إحدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم، ولما سافر مع ميسرة إلى الشام، سأل عنه الراهب ميسرة فقال: في عينيه حمرة؟ فقال: ما تفارقه. قال الراهب: هو.**

**شرح المواهب للزرقاني.**

**أما ما رواه حرب بن سماك عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم، أشكل العينين، منهوش العقب. قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: واسع الفم. قلت: ما أشكل العينين؟ قال: طويل شق العين. قال: قلت: ما منهوش العقب؟ قال: قليل اللحم. رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.**

**فقد قال عنها القاضي: هذا وهم من سماك باتفاق العلماء، وغلط ظاهر، وصوابه ما اتفق عليه العلماء، ونقله أبو عبيد وجميع أصحاب الغريب: أن الشُّكلة حمرة في بياض العين.**

**ويدل على ذلك ما رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين، هَدِب الأشفار، مشرب العينين بحمرة.**

**فمعنى قوله: مشرب العين بحمرة. أي: عروق حمر رقاق. وهي من علاماته صلى الله عليه وسلم التي في الكتب السالفة. وقال مقاتل بن حيان رضي الله عنه: أوحى الله إلى عيسى بن مريم: جدَّ في أمري ولا تهزل.. إلى أن قال: صدِّقوا النبي العربي الأنجل العينين. أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ، ومعنى الأنجل: ذو عينين واسعتين صلى الله عليه وسلم.**

**وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعج العينين، أهدب الأشفار. رواه الترمذي في الشمائل المحمدية، والبغوي وابن سعد. وعنه أيضًا قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود الحدقة. رواه يعقوب في المعرفة والتاريخ. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكحل العينين. رواه عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في الدلائل. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عيناه صلى الله عليه وسلم نجلاوين، أدعجهما، وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها. وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود الحدقة. دلائل النبوة للبيهقي.**

**فهذه العين الكريمة قد دعجت في صفاء، ونصع بياضها في رواء، واتسعت في حسن وبهاء، وطالت أهدابها وكثرت حتى كادت أن تلتبس، وكل هذه الصفات تحمدها العرب وتمتدحها، كما أنها صفات جمال عند أصحاب الذوق السليم.**

**يقول الثعالبي في فقه اللغة عن محاسن العين: من محاسنها: الدعج: أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة. البرج: شدة سوادها وشدة بياضها. النجل: سعتها. الكحل: سواد جفونها من غير كحل. الحور: اتساع سوادها كما هو في أعين الظباء. الوطف: طول أشفارها وتمامها. وفي الحديث: أنه كان في أشفاره وطف. الشُّهْلة حمرة في سوادها.**

**ويقول القلقشندي في ما يستحسن من صفات الجمال: ومنها: حسن العينين، ويستحسن في العين الحور، وهو خلوص بياض العين. والنجل: وهو سعتها، ويقال فيه حينئذ: أنجل. وربما قيل: أعين، ومنه قيل للحور: عين. والدعج: وهو شدة سواد الحدقة. الكحل: وهو أن تسود مواضع الكحل من العين خلقة. صبح الأعشى 1/ 198.**

**وزان ذلك كله، أجفان صبغت خلقة بسواد ليس مثله سواد، جعل مَن ينظر إليه يحسبه أكحل العينين وليس بأكحل، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا متبسمًا، وكنتَ إذا نظرت إليه قلت: أكحلَ العينين، وليس بأكحل. رواه أحمد والترمذي.**

**فقوله: ليس بأكحل. أي: كانت عينه كحلاء من غير اكتحال. قاله القاري، وقال في اللمعات قوله: أكحل وليس بأكحل. الظاهر أن المراد: ظننت أنه اكتحل - أي استعمل الكحل في عينيه - والحال أنه لم يكتحل، بل كان كحل في عينيه. والكَحَل (بفتحتين): سواد في أجفان العين خِلْقَة. والرجل أكحل وكحيل، كذا في القاموس.**

**ومَنْ وقف عند هذه الصفات وتأملها، يقف على عظيم، فالعين ترجمان القلب، تتحدث عنه بأصدق لسان، وتعبر عما فيه بأبلغ بيان، فهي المرآة التي تعكس ما يطويه القلب من شعور وإحساسات، وما تتزين به النفس من أخلاق وصفات، وما يعتريها من أحوال وانفعالات، والنبي صلى الله عليه وسلم كان صَفِي القلب، رَضِي النفس، مشرق الفؤاد، تعكس عيناه ما يعتري نفسه وقلبه في المواقف والأحداث، إن فرحًا أو حزنًا.**

**فهذه العين التي أشرقت بنور الإيمان، وبكت من خشية الله وفرط محبته هي التي فرحت بانتصار دعوة الحق، وسُرَّت بانكسار راية الباطل، وهي العين التي ترقرقت فيها دموع الذل والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى، ولمع فيها شعاع العزة والتعالي على الكفرة والمشركين.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة عينيه:**

**وَفِي الصَّحِيحِ أَشْكَلُ الْعَيْنَينِ = أَيْ حُمْرَةٌ لَدَى بَيَاضِ الْعَيْنِ**

**وَلِعَلِيٍّ أَدْعَجٌ وَفُسِّرَا = بِشِدَّةِ السَّوَادِ فِي الْعَيْنِ يُرَى**

**ويقول أيضًا:**

**أَدَعْجُ وَالأَهْدَابُ فِيهَا وَطْفُ = مِنْ طُولِهَا أَوْ غَطَفٌ أوَ عَطْفُ**

**أنفه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم ذا أنف دقيق، علاه نور وضياء، وارتفعت قصبته في جلال وبهاء، مع دقة في الأرنبة الأرنبة: ما لان من الأنف. وحدب حدب أي ارتفاع. في وسطه، يحسبه مَن لم يتأمله لحسن قناء أنفه واعتدال ذلك أنه أشمُّ، ذا أنف دقيق، مستوٍ من أوله إلى آخره، لا قناء فيه. فعن هند بن أبي هالة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقنى العرنين. العرنين: أي المستوي الأنف من أوله إلى آخره وهو الأشم، ج: عرانين. والعرنين والقنا: طول الأنف ودقة أرنبته، مع ارتفاع في قصبته، وحدب في وسطه، يقال منه رجل أقنى وامرأة قنواء. والأشم أن يكون الأنف دقيقًا لا قنا فيه. وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقني الأنف. رواه ابن عساكر.**

**وهذه الصفات تُعدُّ من صفات الجمال التي تتمادح بها العرب وتتفاخر، فمِن صفات الأنف المحمودة عند العرب - كما يقول الثعالبي - الشمم: ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها. القنا: طول الأنف، ودقة أرنبته، وحدب في وسطه. فقه اللغة، 1/21.**

**يقول القلقشندي - فيما يستحسن من صفات الجمال: ومنها: حسن الأنف، ويستحسن فيه القنا، وهو ارتفاع وسط الأنف قليلاً عن طرفيه مع دقة فيه، وهو الغالب في العرب. وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم: أنه كان أقنى الأنف، ويستحسن فيه الشمم أيضًا، وهو استواء قصبة الأنف وعلو أرنبته. صبح الأعشى، 1/ 198.**

**كما أن هذه الصفات من علاماته صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة، فقد قال مقاتل بن حيان: أوحى الله إلى عيسى بن مريم أن صدقوا بالنبي العربي.. الأقنى الأنف. رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ.**

**فمه:**

**كان صلى الله عليه وسلم من أحسن عباد الله شفتين، وألطفهم ختم فم، رواه البيهقي في الدلائل. كما كان حسن المضحك، رواه أحمد وابن سعد. ذا فم عظيم جميل، متناسق ومتناسب مع وجهه الشريف، ورد في رواية شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم = قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. أخرجه مسلم.**

**قال الزمخشري: والضليع في الأصل الذي عظمت أضلاعه وَوُفِّرت، فأجفر جنباه، ثم استعمل في موضع العظيم، وإن لم يكن ثَم أضلاع. وقيل: ضليعه مهزولة وذابلة. والمراد ذبول شفتيه ورقتهما وحسنهما. وقيل: هذا كناية عن قوة فصاحته، وكونه يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه.**

**وعظم الفم واتساعه صفة تتمادح بها العرب، أما صغره فهو صفة ذم عندهم، يكرهونها. قال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما الجمال؟ فقال: غؤور العينين، وإشراف الحاجبين، ورحب الشدقين. غريب الحديث 1/ 207.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة فمه:**

**عَظِيمُ هَامٍ وَاسِعُ الْجَبِينِ = فَمٌ ضَلِيعٌ أَقْنَى الْعِرْنِينِ**

**ريقه صلى الله عليه وسلم:**

**كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ريق كأنه العسل الصافي، له ريح كريح المسك، فعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء، فشرب ثم مج في الدلو، ثم صب في البئر، أو شرب من الدلو، ثم مج في البئر، ففاح منها مثل ريح المسك. رواه أحمد والطبراني.**

**ولقد جعل الله سبحانه وتعالى لريق النبي صلى الله عليه وسلم خصائص كثيرة، منها أن فيه شفاء للعليل، فلقد شفى الله سبحانه وتعالى به كثيرين من أصحابه، داواهم النبي صلى الله عليه وسلم بريقه الشريف فبرؤوا بإذن الله، وقد وردت أحاديث صحاح في ذلك، جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: "لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله". فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم يرجو أن يُعطاها، فقال صلى الله عليه وسلم: "أين عليُّ بن أبي طالب؟". فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: "فأرسلوا إليه". فَأُتِيَ به. رواه البخاري وفي رواية مسلم: قال سلمة: فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عليٍّ، فجئت به أقوده أرمد، فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، فبرىء كأنه لم يكن به وجع.**

**وعن أم موسى، قالت: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: ما رمدت ولا صدعت، منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي، وتفل في عيني يوم خيبر، حين أعطاني الراية. رواه أحمد وأبو يعلى، وقال الهيثمي: رجالهما رجال الصحيح.**

**ومما يُرْوَى في عجائب غزوة أحد، ما أصاب قتادة رضي الله عنه بسهم في عينه قد فقأتها له، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تدلت عينه، فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وأعادها، ثم تفل بها ومسح عليها وقال: "قم معافى بإذن الله". فعادت أبصر من أختها، فقال الشاعر:**

**اللهم صل على مَن سمى ونمى ورد عين قتادة بعد العمى**

**وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت أبي يقول: إن رسول الله تفل في رجل عمرو بن معاذ حين قطعت رجله فبرأ. رواه ابن حبان.**

**وعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أُصيب سلمة. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيت حتى الساعة. رواه البخاري.**

**ومن خصائص ريقه أيضًا أنه رواء للغليل، روت رَزِينة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر مرضعاته في عاشوراء ورضعاء فاطمة، فيتفل في أفواههم، ويأمر أمهاتهم ألا يرضعن إلى الليل. قال ابن حجر في فتح الباري: أخرجه ابن خزيمة، وتوقف في صحته، وإسناده لا بأس به.**

**ومن خصائص ريقه أيضًا أن له بَرَكة ونماء، فلقد حنك به بعض أطفال المسلمين عند ولادتهم، ودعا لهم بالبركة والنماء، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: وُلِد لي غلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ. وكان أكبر ولد أبي موسى. رواه البخاري.**

**أسنانه صلى الله عليه وسلم:**

**كانت أسنانه صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية رقيقة، لا هي بالغليظة أو السميكة، لها بريق مع تحديد فيها، وأضفى عليها جمالاً انفراج دقيق بينها، فإذا تكلم رُئي النور يخرج من فمه، وهذا النور المرئي يحتمل أن يكون حسيًّا، كما يحتمل أن يكون معنويًّا، فيكون المقصود من التشبيه الوارد في حديث ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين، إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثنيتيه. رواه الترمذي والطبراني. والثنايا: الأسنان الأربع في مقدم الفم، اثنان من أسفل واثنان من أعلى. ما يخرج من بين ثناياه من أحاديثه الشريفة، وكلامه الجامع لأنواع الفصاحة والهداية.**

**عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنايا أشنبها. رواه البيهقي في الدلائل. والشنب أن تكون الأسنان متفرقة، فيها طرائق مثل تعرض المشط، إلا أنها حادة الأطراف، وهو الأشَر الذي يكون أسفل الأسنان، كأنه ماء يقطر من تفتحه ذلك وطرائقه. والأشنب: صاحب الأسنان البيضاء التي لها بريق مع تحديد فيها. يقال منه: رجل أشنب وامرأة شنباء. ومنه قول ذي الرمة:**

**لمياء في شفتيها حدة لعس = وفي اللثات وفي أنيابها شنب**

**والفلج: فرجة بين الثنيتين. والثنية: السِّنَّة الثانية في مقدم الفم يمينًا أو شمالاً. والثنايا: الأسنان الأربع في مقدم الفم؛ اثنان من أسفل واثنان من أعلى.**

**فمعنى أفلج الثنايا أي: بعيد ما بين الثنايا والرباعيات. ورجل مفلج الثنايا أي: منفرجها.. وهي صفة جميلة، لكن مع القلة؛ لأنه أتم في الفصاحة؛ لاتساع الأسنان فيه. فيض القدير 5/ 93.**

**يقول الثعالبي في فقه اللغة عن الأسنان ومحاسنها: من محاسنها: الشنب: رقة الأسنان واستواؤها وحسنها. والرتل: حسن تنضيدها واتساقها. والتفليج: تفرج ما بينها. والشتت: تفرقها في غير تباعد بل في استواء وحسن. ويقال منه: ثغر شتيت، إذا كان مفلجًا أبيض حسنًا.**

**وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين، إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه. سبق تخريجه.**

**قال الطيبي في ضمير الفعل "رُئي": ضميره يخرج إلى الكلام، فهو تشبيه في الظهور إلى النور، فالكاف زائدة، وحاصله أنه يخرج كلامه من بين الثنايا الأربع شبيهًا بالنور في الظهور. قال محقق: والأنسب بأول الحديث أن المعنى يخرج من الفلج ما يشبه نور النجم أو نحوه، فالضمير إلى المشبه المقدر. وقيل: يخرج من صفاء الثنايا تلألؤ. فيض القدير 5/ 93.**

**وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم برَّاق الثنايا. رواه ابن عساكر. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألأ في الجدر. رواه عبد الرزاق في المصنف.**

**صفة شاربه صلى الله عليه وسلم:**

**كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يقص شاربه، ويخففه حتى يُرَى بياض الجلد، وكان يأمر أصحابه بذلك؛ تمييزًا للمسلمين عن غيرهم. كما أن قص الشارب من سنن النبيين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله كان يقص شاربه، ويذكر أن إبراهيم عليه السلام كان يقص شاربه. أخرجه أحمد في مسنده، والطبراني في المعجم الكبير، وقال الحافظ في الفتح: حسنه الترمذى.**

**قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وعن الشعبي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقص شاربه حتى يظهر حرف الشفة العلياء وما قاربه من أعلاه، ويأخذ ما يزيد مما فوق ذلك، وينزع ما قارب الشفة من جانبي الفم، ولا يزيد على ذلك، وهذا أعدل ما وقفت عليه من الآثار. وقد أبدى ابن العربي لتخفيف شعر الشارب معنى لطيفًا فقال: إن الماء النازل من الأنف يتلبد به الشعر؛ لما فيه من اللزوجة، ويعسر تنقيته عند غسله، وهو بإزاء حاسة شريفة، وهي الشم، فشرع تخفيفه؛ ليتم الجمال والمنفعة به. قلت: وذلك يحصل بتخفيفه، ولا يستلزم إحفافه، وإن كان أبلغ. فتح الباري 10/ 348.**

**لحيته صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم كث اللحية، والكثوثة أن تكون اللحية غير رقيقة ولا طويلة، ولكن فيها كثاثة من غير عِظَم ولا طول. وقد تكون الكثاثة في غير اللحية من منابت الشعر، إلا أن أكثر استعمالهم إياها في اللحية. مستديرة غير رقيقة، وكثيفة غزيرة، تملأ صدره من غير عظم ولا طول، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان كثير شعر اللحية. أخرجه مسلم. أي: غزيرها مستديرها. زاد في رواية: قد ملأت ما بين كتفيه. قال القرطبي: ولا يفهم منه أنه كان طويلها؛ لما صحَّ أنه كان كث اللحية؛ أي كثير شعرها، غير طويلة. انتهى. قال الغزالي: وفي خبر غريب أنه كان يسرحها في اليوم مرتين. فيض القدير 5/ 81.**

**وعن البراء بن عازب يصف النبي صلى الله عليه وسلم: كان كث اللحية. أخرجه النسائي في سننه، وصححه الألباني.**

**وفي رواية للحارث عن أم معبد: كَثيف اللحية. بفتح الكاف: أي غير دقيقها ولا طويلها، وفيها كثافة، كذا في النهاية. وفي التنقيح: كث اللحية: كثير شعرها، غير مسبلة. وفي القاموس: كثت: كثرت أصولها وكثفت وقصرت وجعدت؛ ولذا رُوِي: كانت ملتفَّة. وفي شرح المقامات للشريشي: كثة كثيرة الأصول بغير طول، ويقال للحية إذا قص شعرها وكثر: إنها لكثة. وإذا عظمت وكثر شعرها قيل: إنه لذو عشنون. فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن، ولم يكن في العارضين، فذلك السنوط والسناط. وإذا لم يكن في وجهه كثير شعر، فذلك الشطط. واللحية - بكسر اللام، وفي الكشاف الفتح لغة الحجاز: الشعر النابت على الذقن خاصة. فيض القدير 5/ 75.**

**ويستحسن في اللحية استدارتها، وتوسطها في المقدار، وسواد شعرها. فإذا حسنت اللحية من الرجل، كملت محاسنه. صبح الأعشى 1/ 198.**

**وهذه اللحية الشريفة سوداء خلا الشيب منها، سوى سبع عشرة شعرة، عدَّها الصحابة رضي الله عنهم في عنفقته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم: كان أسود اللحية، حسن الثغر. رواه البخاري في الأدب المفرد. وعن أبي جحيفة السوائي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، ورأيت بياضًا من تحت شفته السفلى العنفقة العنفقة: الشعر الذي ينبت تحت الشفة السفلى وفوق الذقن، ويكون قليلاً غالبًا. رواه البخاري. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقع عند الإسماعيلي من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل بهذا الإسناد: من تحت شفته السفلى مثل موضع إصبع العنفقة = وفي رواية شبابة بن سوار عن إسرائيل عنده: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شابت عنفقته. فتح الباري 10/ 354.**

**عنفقته صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنفقة الشعر القليل في أسفل الشفة السفلى. غاية في الحسن والجمال، أصابها الشيب؛ من كثرة تدبر القرآن وقراءته، بَيْدَ أن البياض لم ينتشر فيها، فلم يكن بها سوى شعيرات معدودات من جملة شعرات بيض كانت في مفرق رأسه ومقدم لحيته، فعن أبي جحيفة السوائي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيت بياضًا من تحت شفته السفلى العنفقة. سبق تخريجه.**

**خده صلى الله عليه وسلم:**

**كان خدا النبي صلى الله عليه وسلم مستويين، ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع، قليلا اللحم، رقيقا الجلد، لا تفاوت بين لحمهما ولا تباين، يُرى بياضهما كبريق اللؤلؤ، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره، حتى يرى بياض خده. رواه ابن ماجه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الخدين. رواه ابن شبه في أخبار المدينة. وعن يزيد الفارسي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميل دوائر الوجه. رواه أحمد.**

**وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل الخدين، صلتهما. الصلت الخد: هو الأسيل الخد المستوي، الذي لا يفوت لحم بعضه بعضًا. رواه البيهقي في الدلائل. وأسالة الخدين واستواؤهما من أعذب صفات الجمال عند العرب، وبهما يمدح الرجال، وبهما تكمل صفات الجمال في الرجولة العربية.**

**عنقه صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنق متناسق مع حجم رأسه، كأنه جيد دمية، الدمية: الصورة التي بُولغ في تحسينها. لا هو طويل ولا قصير، وكأنه إبريق الفضة عندما يشوبه الذهب في صفائه ونقائه إذا نزل شعاع الشمس عليه، يُرى متلألئًا في بياض الفضة وحمرة الذهب، وإذا أخفت الثياب بعضًا منه، رُئي له بريق كبريق القمر ليلة البدر، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة. رواه ابن سعد والبيهقي.**

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أحسن عباد الله عنقًا، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة يشوب ذهبًا، يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيَّب الثياب من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر. رواه البيهقي وابن عساكر.**

**وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كأن عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة، كأن الذهب يجري في تراقيه. رواه ابن عساكر كما في الكنز.**

**وهذه الصفات من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة، فعن مقاتل بن حيان أنه قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم: جدَّ في أمري ولا تهزل = إلى أن قال: صدقوا النبي الأمي العربي = كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه. رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ.**

**ومنها: حسن الجيد - وهو العنق - ويستحسن فيه طوله وبياضه - من الأبيض - ويشبه بإبريق فضة. صبح الأعشى 1/ 198.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة عنقه:**

**وَالْجِيدُ فِيهِ سَطَعٌ وَسِيمُ = وَالصَّوْتُ فِيهِ صَحَلٌ قَسِيمُ**

**لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ = كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ**

**ويقول أيضًا:**

**عُنُقُهُ يُرَى كَجِيدِ دُمْيَةِ = مَعَ صَفَاءِ لَوْنِهِ كَالْفِضَّةِ**

**منكباه صلى الله عليه وسلم:**

**المنكب هو مجمع العضد والكتف، ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم منكبان عظيمان، عليهما شعر كثير، وعريضان قد اتسع ما بينهما في اعتدال، واتسقت رؤوسهما في جمال، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس. جمع الكردوس، وهو كل عظمين التقيا في مفصل، نحو: المنكبين والركبتين والوركين. وقيل: رؤوس العظام. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.**

**وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا وضع رداءه عنهما برزا كسبيكة الفضة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رداءه عن منكبيه، فكأنه سبيكة فضة. رواه البيهقي، وقال الألباني: حسن.**

**ولقد كان كتفاه عريضين عظيمين، ويلزم من ذلك أنه كان عريض الصدر، وأعلى الظهر، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين. متفق عليه.**

**كتفاه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم عظيم الألواح، ضخم الكتفين، في تناسق تام مع تقاسيم جسده صلى الله عليه وسلم، من غير ارتفاع إحداهما عن الأخرى. وقد ورد ذلك فيما رواه هند ابن أبي هالة وعليُّ بن أبي طالب من أنه صلى الله عليه وسلم كان ضخم الكراديس. سبق تخريجه. أي: عظيم الأعضاء.**

**خاتَم النبوة:**

**الخاتِم بكسر التاء، اسم فاعل من الختم، وهو الإتمام والبلوغ إلى الآخر. وبفتح التاء بمعنى الطابع، ومعناه الشيء الذي هو دليل على أنه لا نبي بعده.**

**قال القاضي البيضاوي: خاتَم النبوة أثر بين كتفيه نُعت به في الكتب المتقدمة، وكان علامة يُعلَم بها أنه النبي الموعود، وصيانة لنبوته عن تطرق القدح إليها صيانة الشيء المستوثق بالختم، ذكره العيني. تحفة الأحوذي 6/ 52.**

**ولقد كان هذا الخاتم من أمارات نبوته صلى الله عليه وسلم، ودلائل رسالته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها، ففي قصة بحيرى الراهب أنه قال: وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وابن عساكر وغير واحد من الحفاظ، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.**

**كما عرف الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخاتم الذي وُصف له، فقد وَرَد في حديثه الذي يرويه عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وُصِف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحول". فتحولت بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يابن عباس، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذاك أصحابه. أخرجه أحمد، وقال الهيثمي المجمع: رواه أحمد كله، والطبراني في الكبير بنحوه، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع.**

## 

## موضع الخاتم:

**ورد أن موضع الخاتم كان عند أعلى كتف النبي صلى الله عليه وسلم الأيسر، فعن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزًا ولحمًا - أو قال: ثريدًا - الثريد: الطعام الذي يُصنَع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق، وأحيانًا يكون من غير اللحم قال: فقلت له: أستغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم ولك. ثم تلا هذه الآية: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) [محمد: 19]. قال: ثم دُرْتُ خلفه، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمْعًا، جمع: معناه أنه كجمع الكف، وصورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها. عليه خِيلان الخيلان: جمع خال، وهو الشامة في الجسد. كأمثال الثآليل. الثآليل: حبيبات تعلو الجسد، مفردها ثؤلول. رواه مسلم.**

**وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الشمس والقمر مستديرًا، ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. رواه مسلم.**

**وقال أبو زيد رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقترب مني". فاقتربت منه، فقال: "أدخل يدك فامسح ظهري". قال: فأدخلت يدي في قميصه فمسحت ظهره، فوقع خاتم النبوة بين أصبعي. قال: فسئل عن خاتم النبوة، فقال: شعرات بين كتفيه. أخرجه أحمد.**

**قال القرطبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر، عند كتفه صلى الله عليه وسلم الأيسر، إذا قلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر قدر جمع اليد، والله أعلم. فتح الباري 10/ 350.**

**السر في هذا الموضع:**

**ذكر ابن حجر السر في كون الخاتم عند كتفه الأيسر، فقال: "قال العلماء في الحكمة من ذلك أن القلب في تلك الجهة، وقد ورد في خبر مقطوع أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان، فرأى الشيطان في صورة ضفدع، عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه، له خرطوم كالبعوضة. أخرجه ابن عبد البر بسند قوي إلي ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز فذكره، وذكره أيضًا صاحب"الفائق" في مصنفه. وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يعلى وابن عدي، ولفظه: إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم. الحديث. وأورد ابن أبي دواد في كتاب "الشريعة" من طريق عروة بن رويم، أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم، وقال: فإذا برأسه مثل الحية، واضع رأسه على تمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا غفل وسوس. وقال السهيلي: موضع خاتم النبوة عند نغض كتفه صلى الله عليه وسلم الأيسر؛ لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع يدخل منه الشيطان ليوسوس لابن آدم". فتح الباري 6/ 563.**

**لونه:**

**كان الخاتم أحمر اللون، وفي رواية أنه كان أسود اللون يميل إلى الصفرة ، ، وفي رواية أنه كان كلون جسده. ويبدو التعارض بين هذه الروايات؛ إلا أن هذا التفاوت في اللون يُعزَى إلى اختلاف الرؤية من الرواة وكذلك الحالة التي كان يُرى فيها، فتارة يكون كلون الجسد أبيض مشربا بحمرة، وتارة يكون أحمر وهو الثابت كما قرر الحافظ ابن حجر، وتارة يرى أسود اللون إذ إن من وصفه بذلك قال إنه رأى شعرات بين كتفيه وهكذا يتفاوت اللون، باختلاف الرؤية.**

**شكله وحجمه:**

**كان هذا الخاتم مدوَّرًا مثل الهلال، وحجمه قدر بيضة الحمامة، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الشمس والقمر مستديرًا، ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. رواه مسلم.**

**وفي رواية الترمذي عنه: أنه غدة لحم يحدث بين الجلد واللحم، يتحرك بالتحريك. وقيل: هي كل عقدة تكون في الجسد. والمراد أنه كان شبيهًا بالغدة حمراء مثل بيضة الحمامة. رواه الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني.**

**وعن عاصم عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأكلت معه خبزًا ولحمًا - أو قال ثريدًا - قال: فقلت له: أستغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم. قال: نعم، ولك. ثم تلا هذه الآية: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) [محمد: 19]. قال: ثم دُرْتُ خلفه، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمْعًا خِيلان كأمثال الثآليل. سبق تخريجه.**

**قال النووي: وظاهر قوله: جُمْعًا. يحتمل أن يكون المراد تشبيهه به في الهيئة، وأن يكون في المقدار، والمراد به هنا الهيئة؛ ليوافق قوله: مثل بيضة الحمام عليه خِيلان. بكسر أوله، جمع خال؛ وهي نقطة تضرب إلى السواد. مرقاة المفاتيح 16/ 456.**

**وهناك روايات أخرى متقاربة تفيد أنه مثل زر الحجلة، أو بيضة النعامة، أو التفاحة أو البندقة، أو أنه شعر مجتمع، فعن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وجع. فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة. الزر: بيضة الطائر. والحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب تكون له أزرار كبار. متفق عليه.**

**قال الخطابي: رُوِي أيضًا بتقديم الراء على الزاي، ويكون المراد البيض، يقال: أرزت الجرادة (بفتح الراء، وتشديد الزاي): إذا كبست ذنبها في الأرض فباضت. شرح النووي على مسلم 15/ 99.**

**ووقع في رواية ابن حبان من طريق سماك بن حرب: كبيضة النعامة. ونبه على أنها غلط.**

**وعند ابن حبان من حديث ابن عمر: مثل النائتة من اللحم. وعند الترمذي: كبضعة ناشزة من اللحم.**

**قال القاضي: وهذه الروايات متقاربة متفقة على أنه شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة، وهو نحو بيضة الحجلة، وزر الحجلة. وأما رواية جمع الكف وناشز، فظاهرها المخالفة، فتؤول على وفق الروايات الكثيرة، ويكون معناه على هيئة جمع الكف، لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة. شرح النووي على مسلم 15/ 99.**

**وقال البيجوري في شرح الشمائل: لا تعارض بين هذه الرواية - يريد رواية: بيضة الحمامة - والرواية السابقة - يقصد رواية: زر الحجلة - بل ولا غيرها من الروايات؛ كرواية ابن حبان: كبيضة نعامة، ورواية البيهقي: كالتفاحة، ورواية ابن عساكر: كالبندقة، ورواية مسلم: جُمْع (بضم الجيم، وسكون الميم) عليه خيلان كأنها الثآليل، وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع؛ لرجوع اختلاف هذه الروايات إلى اختلاف الأحوال. وقال القرطبي: إنه كان يكبر ويصغر وكل شبه بما سنح له، ومن قال: شعر؛ فلأن الشعر حوله كما في رواية أخرى.**

**وبالجملة، فالأحاديث الثابتة تدل على أن الخاتم كان شيئًا بارزًا، إذا قلَّ كان كالبندقة ونحوها، وإذا كثر كان كجمع اليد. وأما رواية: كأثر المحجم، أو كركبة عنز، أو كشامة خضراء أو سوداء ومكتوب فيها: محمد رسول الله، أو: سر فإنك المنصور. فلم يثبت منها شيء، كما قاله القسطلاني، وتصحيح ابن حبان لذلك وهم. انتهى. تحفة الأحوذي 9/ 53.**

**هل كان الخاتم أثرًا لحادثة شق الصدر؟**

**وقعت حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم أثناء استرضاعه في بني سعد؛ لنزع العلقة التي كانت حظ الشيطان منه، وقد ادَّعى القاضي عياض أن هذا الشق نتج عنه خاتم النبوة بين كتفيه، وهذا خلاف الثابت من أن الشق كان في صدره وبطنه. قال القاضي: وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين الكتفين. وقد تعقبه النووي فقال: هذا باطل؛ لأن الشق إنما كان في صدره وبطنه. وقال القرطبي: أثره إنما كان خطًّا واضحًا من صدره إلى مراق بطنه كما في الصحيحين. قال: ولم يثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفذ من وراء ظهره، ولو ثبت للزم عليه أن يكون مستطيلاً من بين كتفيه إلى قطنته؛ لأنه الذي يحاذي الصدر من سرته إلى مراق بطنه. قال: فهذه غفلة من هذا الإمام، ولعل ذلك وقع من بعض نُسَّاخ كتابه، فإنه لم يسمع عليه فيما عملت، كذا قال. وقد وقفت على مستند القاضي، وهو حديث عتبة بن عبد السلمي، الذي أخرجه أحمد والطبراني وغيرهما عنه، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف كان بدء أمرك؟ فذكر القصة في ارتضاعه في بني سعد، وفيه أن الملكين لما شقا صدره صلى الله عليه وسلم قال أحدهما للأخر: خطه. فخاطه، وختم عليه بخاتم النبوة. انتهى.**

**فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه، حمل ذلك عياضُ على أن الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى الْتَأَم كما كان، وقع الختم بين كتفيه، كان ذلك أثر الشق.**

**وفهم النووي وغيره أن قوله: بين كتفيه. متعلق بالشق، وليس كذلك، بل هو متعلق بأثر الختم، ويؤيده ما في حديث شداد بن أوس عند أبي يعلى في "الدلائل" لأبي نعيم، أن الملك لما أخرج قلبه وغسله ثم أعاده، ختم عليه بخاتم في يده من نور، فامتلأ نورًا، وذلك نور النبوة، فيحتمل أن يكون ظَهَر من وراء ظَهْره عند كتفه الأيسر؛ لأن القلب في تلك الجهة.**

**وفي حديث عائشة عند أبي دواد الطيالسي وابن أبي أسامة في "الدلائل" لأبي نعيم أيضًا: أن جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث، "هبط جبريل، فسلقني لحلاوة القفا، ثم شق عن قلبي فاستخرجه، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأَمَهُ، ثم ألقاني، وخيم في ظهري حتى وجدت برد الخاتم في قلبي، وقال: اقرأ". الحديث. هذا مستند القاضي فيما ذكره، وليس بباطل. فتح الباري 6/ 561.**

**وخلاصة ما قاله ابن حجر أن الخاتم لم يكن أثرًا لحادثة الشق؛ لأن الشق كان محله الصدر والبطن، والخاتم إنما كان بين كتفيه، كما في حديث جابر بن سمرة السابق.**

**هل كان الخاتم موجودًا حين وُلِد النبي صلى الله عليه وسلم؟**

**اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من قال: إنه ولد به. ومنهم من ذهب إلى أنه وضع بعد ولادته، أو عند شق الصدر، أو حين نُبِّئ، قال الحافظ: أثبتها الثالث، وبه جزم عياض. وقال الحافظ أيضًا: ومقتضى هذه الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجودًا حين ولادته صلى الله عليه وسلم، ففيه تعقيب على مَن ذهب وزعم أنه وُلِدَ به، وهو قول نقله أبو الفتح اليعمري بلفظ: قيل: ولد به. وقيل: حين وضع. نقله مغلطاي عن يحيى بن عائذ. والذي تقدم أثبت احتمال أن الخاتم وقع في موضعين من جسده. ووقع مثله في حديث أبي ذر عند أحمد والبيهقي في "الدلائل" وفيه: وجعل خاتم النبوة بين كتفيه كما هو الآن. وفي حديث شداد بن أوس في المغازي لابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر: وأقبل وفي يده الخاتم له شعاع، فوضعه بين كتفيه وثدييه. الحديث. وهذا قد يؤخذ منه أن الخاتم وقع في موضعين من جسده، والعلم عند الله. فتح الباري 6/ 562.**

**صدره صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم عريض الصدر، ممسوحه، كأنه المرآة في استوائها وشدتها، وقد امتلأ الصدر لحمًا، فلا هو بالبدن السمين، ولا بالقليل النحيل، ولا يعدو بعض لحمه بعضًا، كما كان صلى الله عليه وسلم أشعر أعالي الصدر، خلا ثدياه وبطنه من الشعر الكثير. قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء البطن والصدر، عريض الصدر. رواه الطبراني في المعجم الكبير، والترمذي في الشمائل.**

**وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر، ممسوحه، كأنه المرايا في شدتها واستوائها، لا يعدو بعض لحمه بعضًا، على بياض القمر ليلة البدر، موصول ما بين لبته إلى سرته شعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره. رواه ابن عساكر، والبيهقي.**

**مسربته صلى الله عليه وسلم: المسربة: هي الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.**

**كانت مسربته صلى الله عليه وسلم دقيقة طويلة، وصلت بين لبته اللبة: المنحر، وهو النقرة التي فوق الصدر. وسرته بشعر جرى بينهما كالخط، ولم يكن في بطنه سواها، حيث عري ثدياه وبطنه مما سوى ذلك، فعن عليِّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل المسربة. رواه أحمد.**

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر، موصول ما بين لبته إلى سرته شعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره. سبق تخريجه.**

**يقول الحافظ العراقي:**

**وَأَشْعَرَ الصَّدْرِ دَقِيقَ الْمَسْرُبَهْ = مِنْ سُرَّةٍ حَتَّى يُحَاذِي لَبَّتَهْ**

**إبطه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض الإبطين، وهذه الصفة من علامات نبوته؛ إذ إن الإبط عادة ما يكون متغير اللون عند جميع الناس، وقد ذكر الصحابة رضي الله عنهم هذه الصفة، فعن عبد الله بن مالك بن بحينة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد فرج بين يديه، أي: باعد. حتى نرى بياض إبطيه. أخرجه البخاري. وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد جافى حتى يرى بياض إبطيه. أخرجه أحمد، وقال الهيثمي في المجمع: رجال أحمد رجال الصحيح.**

**قال الحافظ في الفتح: واختلف في المراد بوصف إبطيه بالبياض، فقيل: لم يكن تحتهما شعر، فكانا كلون جسده. ثم قيل: لم يكن تحت إبطيه شعر البتة. وقيل: كان لدوام تعهده له لا يبقى فيه شعر. ووقع عند مسلم في حديث: حتى رأينا عفرة إبطيه. ولا تنافي بينهما؛ لأن الأعفر ما بياضه ليس بالناصع، وهذا شأن المغابن يكون لونها في البياض دون لون بقية الجسد. فتح الباري 10/ 372.**

**وقال المناوي في فيض القدير: وذكر بعض الشافعية أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يكن له شعر تحت إبطه؛ لحديث كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه. قال الإسنوي: وبياض الإبط كان من خصائصه، وأما إبط غيره فأسود؛ لما فيه من الشعر. واعترضه العراقي بأن ذلك لم يثبت، بل لم يرد في شيء من الكتب المعتمدة، والخصائص لا تثبت بالاحتمال، ولا يلزم من بياض إبطيه ألا يكون له شعر؛ لأنه إذا نتف بقي محله أبيض؛ ولذلك ورد في حديث الترمذي عن عبد الله بن أقرم الخزاعي: كنت أنظر إلى عفرة إبطيه إذا سجد. والعفرة بياض غير ناصع، فلو كان خاليًا من الشعر لم يكن أعفر، وإطلاق بياض الإبط في حق غيره موجود في كلام كثير من الفقهاء وغيرهم والإنكار [] فيه لأن الإبط لا تناله الشمس في السفر والحضر. فيض القدير 4/ 679.**

**بطنه صلى الله عليه وسلم:**

**لم تكن بطن النبي صلى الله عليه وسلم كبيرة فتعيبه، وإنما كانت سواء بصدره، قالت أم معبد رضي الله عنها في وصفه: لم تعبه ثُجلة. أي: كبر البطن. وقد يفهم البعض أن رسول الله عندما كبرت به السن بدن وامتلأ جسده، بناء على الرواية الواردة في مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن ابن محيريز أنه سمع معاوية على المنبر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تبادروني بالركوع ولا بالسجود؛ فإني قد بدنت". أخرجه أحمد، وابن حبان. ويفهم البعض منها أنه الامتلاء، وليس بصواب، وإنما وقع الوهم من قراءة بَدُن بالتخفيف، والصحيح أنها "بَدَّنَ" بتضعيف الدال المهملة المفتوحة، بمعنى أسن وضعف لا بمعنى سمن وامتلأ؛ إذ البدانة وصف مخالف لوصف النبي كما ألمحنا.**

**لذا جاء في وصف السيدة عائشة له، أنه كان في بطنه ثلاث عكنات أبيض من القباطي، والقباطي: جمع قبطية، وهي ثياب من كتان رقيق تعمل بمصر. وألين ملمسًا، كان الإزار يغطي واحدة منهن وتظهر الأخريان. وهناك مَن قال بأن الإزار كان يغطي ثنتين، وتظهر واحدة. والعكنة ما انطوى وتثنى من لحم البطن من السمنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان له صلى الله عليه وسلم عكن العكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنًا. ثلاث؛ يغطي الإزار الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن. منها واحدة، وتظهر ثنتان. ومنهم مَن قال: يغطي الإزار منها ثنتين، وتظهر واحدة. تلك العكن أبيض من القباطي المطواة، وألين مسًّا. رواه أبو نعيم في الدلائل، والبيهقي.**

**كما أن خصره صلى الله عليه وسلم كان له بياض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ربما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم: فيقول حدثنيه: أبيض الكشحين. الكشح: هو الخصر. رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح.**

**ظهره صلى الله عليه وسلم:**

**كان ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم واسعًا، جميل المنظر والصورة، كأنه سبيكة الفضة في استوائه وصفائه، فعن محرش الكعبي رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة. رواه أحمد، والنسائي في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والبيهقي في الدلائل.**

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الظهر، بين كتفيه خاتم النبوة، وكان طويل مسربة الظهر. رواه أبو نعيم في الدلائل، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق. والمسربة هي الفقار التي في الظهر من أعلاه إلى أسفله.**

**قامته وطوله صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم حسن الجسم، معتدل الخلق، جميل البدن، منتظم الأعضاء، متسق القوام، مربوع القامة، غير مفرط الطول، ليس بالطويل ولا القصير، بيد أنه إلى الطول أقرب، لا شذوذ في صورته، ولا تنافر في هيئته، إذا ماشى أحدًا من الناس طاله، وإذا اكتنفه الرجلان الطويلان طالهما، فإذا فارقاه كان وسطًا بين الطول والقصر، وإذا جلس إليه أحد كان كتفه صلى الله عليه وسلم أعلى من الجالس، ولقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، فرُوِيَ عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مربوعًا. كما رُوِي أنه كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل ولا بالقصير. ورُوِي أيضًا أنه كان رِبْعة أي: مربوع القامة. من القوم؛ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، حسن الجسم.**

**وجاء في حديث هند بن أبي هالة: أطول من المربوع، وأقصر من المشذب.**

**يقول القلقشندي في محاسن صفات النوع الإنساني: ومنها: حسن القد، وأحسن القدود الرِّبعة، وهو المعتدل القامة، الذي لا طول فيه ولا قصر، وليس كما يقع في بعض الأذهان من أن المراد منه دون الاعتدال. وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ربعة. صبح الأعشى 1/ 197.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة طوله:**

**وَرَبْعَةً كَانَ مِنَ الرِّجَالِ = لا مِنْ قِصَارِهِمْ وَلا الطِّوَالِ**

**ويقول أيضًا:**

**لا بَائِنٌ طُولاً وَلاَ يُقْتَحَمُ = مِنْ قِصَرٍ فَهْوَ عَلَيهِمْ يَعظُمُ**

**ذراعاه صلى الله عليه وسلم:**

**كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذراعان طويلتان، في تناسب مع باقي أعضاء جسده الشريف، طال زنداها، وامتد ساعداها، وعلاها شعر كثيف، ومما ذكره أصحابه في صفة ذراعيه قول أحدهم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الزندين، ضخم الكراديس، الكراديس: هي رؤوس العظام، واحدها كردوس. وقيل هي ملتقى كل عظمين ضخمين؛ كالركبتين والمرفقين والمنكبين. أراد أنه ضخم الأعضاء، أشعر الذراعين. رواه الطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في السنن الكبرى وشعب الإيمان.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة ذراعيه:**

**مُفَلَّجُ الأَسْنَانِ سَهْلُ الْخَدِّ = أشْنَبُ بَادِنٌ طَوِيلُ الزَّنْدِ**

**كفه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم ذا كف عظيم، مبسوط صورة وخلقة، ألين من الحرير والديباج، يميل إلى الغلظ والقصر، اجتمع له مع اللين، ونعومة الملمس، قوة في العظم، وامتلاء في اللحم، كما أنه متناسق مع ذراعيه، متناسب مع حجم قدميه، فعن أنس أو جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ضخم الكفين، لم أرَ بعده شبهًا له. أخرجه البخاري. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شثن الغليظ الخشن الكفين. أخرجه أحمد والترمذي وأبو يعلى والحاكم.**

**ومعنى شَثْن الكفين والقدمين. أي: يميلان إلى الغلظ والقصر، يقول المباركفوري في التحفة: وقيل: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك في الرجال؛ لأنه أشد لقبضهم، ويذم في النساء. انتهى. وقال في القاموس: شثنت كفه، كفرح وكرم، شثنًا وشثونة: خشنت وغلظت، فهو شثن الأصابع بالفتح. فإن قلت هذا يخالف ما رواه البخاري عن أنس، قال: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: قيل: اللِّين في الجلد، والغلظ في العظام، فيجتمع له نعومة البدن مع القوة. ويؤيده ما رواه الطبراني والبزار من حديث معاذ رضي الله عنه: أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر، فما مسست شيئًا قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم. تحفة الأحوذي 9/ 46.**

**وهذا الكف الشريف له ملمس ألين من الحرير والخز، ثياب تنسج من صوف وحرير. وأبرد من الثلج، ورائحة أطيب من المسك، كأنها كف عطار مسَّها بالطيب أو لم يمسها، فإذا صافحه المصافح، يظل يومه يجد ريحها، وإذا وضعها على رأس الصبي، عُرِف من بين الصبيان من ريحها على رأسه؛ لذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتبادرون إلى آثاره يتبركون بها، فقد كانوا يستبقون إلى ماء وضوئه؛ علهم يصيبون منه شيئًا يتبركون به، ويمسحون به وجوههم، وإن لم يسعد أحدهم الحظ ولم يصب منه شيئًا، فإنه يأخذ نصيبه من بلل يد صاحبه، فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فَمَن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه، ثم رأيت بلالاً أخذ عنزة فركزها، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء مشمِّرًا، صلى إلى العنزة بالناس ركعتين، ورأيت الناس والدواب يمرون من بين يدي العنزة. متفق عليه. وفي رواية أخرى قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك. أخرجه البخاري.**

**وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خَدَّي أحدهم واحدًا واحدًا. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُؤْنَة الجؤنة: ما يعد فيه الطيب ويحرز. عطار. أخرجه مسلم.**

**وعن شداد بن أوس رضي الله عنه: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده، فإذا هي ألين من الحرير، وأبرد من الثلج. أخرجه الطبراني في الكبير وفي الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال الكبير رجال الصحيح، غير موسى بن أيوب النصيبي، وهو ثقة.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة كفه:**

**وَكَانَ شَثْنًا كَفُّهُ وَالْقَدَمُ = وَهُوَ الْغَلِيظُ قُوَّةً يَسْتَلْزِمُ**

**أصابعه وراحته صلى الله عليه وسلم:**

**كانت راحته صلى الله عليه وسلم واسعة، وأصابعه طوال ليست منعقدة ولا متثنية، متناسقة مع حجم الكف وباقي الأعضاء، فبدت في استوائها وسهولتها كأنها قضبان الفضة، وقد ثبت ذلك، فرُوِي أنه صلى الله عليه وسلم كان رحب الراحة، سائل الأطراف، كأن أصابعه الفضة. رواه الطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في الشعب، والترمذي في الشمائل، وابن سعد في الطبقات، والحاكم مختصرًا، والبغوي في شرح السنة، والحافظ في الإصابة.**

**فقوله: سائل الأطراف. بسين مهملة ولام، أي: ممتدها. ورُوِي بمعجمة، أي: مرتفعها. وسائر بالراء: من السير، بمعنى طويلها. وسائن بنون. ومقصود الكل غير متعقدة ولا متثنية، ويؤيده رواية: كأن أصابعه قضبان فضة. أي: أغصانها. فيض القدير 5/ 76.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة أطرافه وراحته:**

**وَسَائِلُ الأَطْرَافِ رَحْبُ الرَّاحَةِ = ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ**

**ساقاه صلى الله عليه وسلم:**

**كانت ساقا النبي صلى الله عليه وسلم دقيقتين من غير استهجان، ولطيفتين في غاية الحسن والجمال، متوسطتين بين الضخامة المنكرة والدقة المستنكرة، لهما بياض كبريق اللؤلؤ، وصفاء كصفاء الفضة، تُرى عضلتهما من تحت إزاره إذا اتزر، قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: كان في ساقَي النبي صلى الله عليه وسلم حموشة. الحموشة: بضم الحاء المهملة والميم، أي: دقة ولطافة. وكانت هاتان الساقتان مناسبتين وسائر أعضائه، وكانت ساقاه في غاية الحسن والجمال. رواه أحمد في المسند، والترمذي في سننه، والحاكم في المستدرك.**

**قال القاضي: حموشة الساق: دقتها. يقال: حمشت قوائم الدابة: إذا دقت. هكذا ضبط بعضهم. وقال بعضهم: حُمُوشة (بضم أوله المعجمة): دقتها. و(بكسره): ليفيد التقليل. والمراد نفي غلظها، وذلك مما يمتدح به، وقد أكثر أهل القيافة من مدحها وفوائدها. فيض القدير 5/ 80.**

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُرى عضلة ساقه من تحت إزاره إذا اتزر. رواه أحمد في مسنده.**

**وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى وبيص بالموحدة والمهملة: البريق ساقيه. أخرجه البخاري في صحيحه.**

**قدماه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم كبير القدمين، في تناسق رائع، وتناسب بديع مع ساقه، من غير شذوذ بينهما وبين باقي أعضائه، وقد ارتفع باطنهما عن الأرض، فكان يطأ الأرض بقدمه كلها، كما أنهما ملساوان، ليس في ظهورهما تكسر؛ لذا كان الماء ينبو عنهما، أي: لا ثبات للماء عليها. وقد ثبتت هذه الأوصاف كلها في صحيح سنته صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين والقدمين، حسن الوجه، لم أرَ بعده ولا قبله مثله، وكان بسط الكفين. أخرجه البخاري في صحيحه. وقال أيضًا: كان النبي صلى الله عليه وسلم شثن القدمين. رواه البخاري في صحيحه. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين. رواه البخاري في صحيحه. وقال أيضًا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، ورواه معمر بن راشد في جامعه، والبخاري في الأدب المفرد.**

**فائدة:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بسيدنا إبراهيم عليه السلام، فكانت قدماه الشريفتان تشبه قدمي سيدنا إبراهيم.**

**عقبه صلى الله عليه وسلم:**

**لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ممتلئ لحم العقبين كالنساء، وإنما كان منهوس العقبين أي: قليل لحم العقب، وهو مأخوذ من النهس، وهو أخذ اللحم بأطراف الأسنان. أي: إن لحم عقبيه فيه نحول وقلة في تناغم مع حجم ساقه وصورتها، وهذا أنسب وأجمل للرجال دون النساء، فعن شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقب. قال: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب. أخرجه مسلم في صحيحه.**

**مفاصله صلى الله عليه وسلم:**

**كانت مفاصل النبي صلى الله عليه وسلم تامة عظيمة جليلة، قد تناسقت في روعة وجمال مع باقي أعضائه، فلم تشذ في حجمها بحيث تكون معيبة، وهذه من دلائل قوته صلى الله عليه وسلم. رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ضخم الكراديس الكراديس: رؤوس مفاصل العظام. أخرجه أحمد في مسنده، والطبراني في المعجم الكبير. وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جليل المشاش. ابن أبي شيبة في مصنفه.**

**طيبه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الطيب، ويكثر من التطيب، فقد رَوَى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة". رواه أحمد والنسائي، والحاكم في المستدرك.**

**يقول ابن القيم في تعليل حب النبي صلى الله عليه وسلم التطيب: لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب، وسائر الأعضاء الباطنية، ويفرح القلب، ويسر النفس، ويبسط الروح، وهو أصدق شيء للروح، وأشده ملاءمة لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة، وكان أحد الأشياء المحبوبة من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه. وفي الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر عنه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها، فالخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، وهذا وإن كان في النساء والرجال، فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح، إما بعموم لفظه، أو بعموم معناه. زاد المعاد 4/ 256.**

**ولقد بلغ من حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم للطِّيب أنه كان إذا أُهدي طيبًا قبله ولم يرده، بل نهى عن رده، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب. رواه البخاري.**

**وروى الطيالسي والبزار وأبو يعلى بسند حسن عنه قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرض عليه طيب قط فرده. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا ترد: الوسائد والدهن الدهن: الطيب والعطور واللبن". أخرجه الترمذي في الشمائل عن ابن عمر.**

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن عُرض عليه طِيب فلا يرده؛ فإنه طيب الريح، خفيف المحمل". رواه أبو داود، والنسائي عن أبي هريرة مرفوعًا من حديث أبي هريرة.**

**قال القرطبي: المحمل بفتح الميمين، ويعني به الحمل، والحديث يدل على أن رد الطيب خلاف السنة؛ لأنه باعتبار ذاته خفيف لا يثقل حامله، وباعتبار عرضه طيب لا يتأذَّى به مَن يعرض عليه، فلم يبق حامل على الرد، فإن كل ما كان بهذه الصفة محبب إلى كل قلب مطلوب لكل نفس. عون المعبود 9/ 210.**

**وقد أخرج مسلم هذا الحديث السابق بلفظ: "مَن عرض عليه ريحان فلا يرده". كما أخرجه الترمذي بلفظ: "إذا أعطي أحدكم الريحان، الريحان: كل نبت مشموم طيب الريح. فلا يرده؛ فإنه خرج من الجنة".**

**يقول المباركفوري في التحفة: ورواية الجماعة أثبت؛ فإن أحمد وسبعة أنفس معه رووه عن عبد الله بن يزيد المقبري عن سعيد بن أبي أيوب بلفظ: "الطيب". ووافقه ابن وهب عن سعيد عند ابن حبان، والعدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد. تحفة الأحوذي 8/ 61.**

**قال ابن بطال رحمه الله في بيان الحكمة من ذلك: إنما كان لا يرد الطيب من أجل أنه ملازم لمناجاة الملائكة؛ ولذلك كان لا يأكل الثوم وما يشاكله. عمدة القاري 13/ 140.**

**ويقول الحافظ في "الفتح" ردًّا على تعليل ابن بطال: "لو كان هذا هو السبب في ذلك لكان من خصائصه، وليس كذلك؛ فإن أَنَسًا اقتدى به في ذلك، وقد ورد النهي عن رده مقرونًا ببيان الحكمة في ذلك في حديث صحيح". يشير رحمه الله إلى الحديث السابق.**

**وقال ابن العربي: إنما كان لا يرد الطيب؛ لمحبته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره؛ لأنه يناجي مَن لا نناجي. وأما نهيه عن رد الطيب، فهو محمول على ما يجوز أخذه، لا على ما لا يجوز أخذه؛ لأنه مردود بأصل الشرع.**

**وقد أنشد بعضهم:**

**قد كان من سيرة خير الورى = صلى عليه اللّه طول الزمنْ**

**ألا يَردَّ الطيب والمتكا = واللحم أيضًا يا أخي واللبنْ**

**ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أطيب الناس ريحًا من غير تطيب، وإن تطيب يُشم طيبه من بعيد، ويلمس أثره من قريب، وكان طيبه يفوح شذاه، وينتشر عبقه، فكان مَن يجالسه ينشرح له وكأنه في روضة فيحاء، وإذا مسَّ أحدهم ثوبه أو جسده، فإنه يجد ليده ريحًا طيبًا من أثر اللمس، قال أنس رضي الله عنه: ما شممت شيئًا قط، مسكًا ولا عنبرًا، أطيب من ريح رسول الله، ولا مسست شيئًا قط، حريرًا ولا ديباجًا، ألين مسًّا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله، ولا شممت مسكًا ولا عنبرًا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم. مسلم بشرح النووي 15/ 86. وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: فأما أنا، فمسح خدي، قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا، كأنما أخرجها من جؤنة عطار. رواه مسلم. والجؤنة: السقط الذي فيه متاع العطار. هكذا فسرها الجمهور، وقال صاحب العين: وهي سليلة مستديرة مغشاة.**

**ولقد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ من قارورة المسك، فيمسح على لحيته ورأسه، وثبت أنه قال: "طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه". رواه الترمذي في الأدب، والنسائي، وهو حديث صحيح.**

**وكان المسك أحب الطيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال عنه صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عنه أبو سعيد رضي الله عنه: "هو أطيب طيبكم". كما كانت تعجبه الفاغية، الفاغية: كل نبت له رائحة طيبة. وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: كانت للنبي صلى الله عليه وسلم سُكَّة يتطيب منها. السُّكة: وعاء فيه طيب.**

**كحله صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصًا على كمال زينته؛ فالمظهر الحسن والهيئة الجميلة من الدين، قال تعالى: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد" [الأعراف: 31]، وهو في ذلك لم يأت ببدع من الأمر؛ لأنه عربي يتبع عادات العرب في اللباس والزينة، ما دامت تتفق مع ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى، ولقد كان الاكتحال من عادات العرب التي يحرصون عليها ومن مظاهر الجمال عندهم؛ لذا اكتحل النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بالاكتحال، وورد في سنته صلى الله عليه وسلم الحث على الاكتحال بنوع معين من الأحجار التي يكتحل منها؛ وهو الإثمد، وبيَّن فوائد الاكتحال، وكلها تدور حول تقوية البصر وتجليته، وإزالة الشوائب العالقة في العين، ودفع القذى والمواد الرديئة التي تسقط عليها من الرأس، ولا سيما إذا مُزِج بشيء من المسك، كما يقوي الأهداب، وهي طبقات شعر العين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اكتحلوا بالإثمد؛ فإنه يجلو البصر، و ينبت الشعر". وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم له مكحلة يكتحل منها كل ليلة، ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه. رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن. وقال الألباني: صحيح دون قوله: وزعم =. وعند النسائي وابن حبان بلفظ: "إن من خير أكحالكم الإثمد؛ إنه يجلو البصر، وينبت الشعر". رواه النسائي، وابن حبان.**

**وعنه أيضًا قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام بالإثمد ثلاثًا في كل عين. وقال: "إن خير ما تداويتم به اللدود اللدود: الشراب الذى يسقاه المريض فى أحد شقي فمه. والسعوط السعوط: دواء يوضع فى الأنف. والحجامة والمشي. وخير ما اكتحلتم به الإثمد؛ الإثمد: حجر أسود يضرب إلى الحمرة. فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر". رواه الترمذي، وقال: حسن غريب. وروى الطبراني عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالإثمد؛ فإنه مَنْبَتَة للشعر، مَذْهَبَة للقذى، مَصْفَاة للبصر". رواه الطبراني عن عليٍّ، وإسناده حسن. وقال الألباني: حسن صحيح.**

**وروى الإمام أحمد برجال الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير أكحالكم الإثمد؛ ينبت الشعر، ويجلو البصر". رواه أحمد.**

**كل هذه الأحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتحل، وأمر بالاكتحال، وليس ذلك فحسب، بل عيَّن نوعًا محددًا من الأحجار التي يكتحل منها، وبيَّن فائدة الاكتحال منه، وهذا الحجر هو الإثمد، وهو حجر معروف أسود، يضرب إلى الحمرة، يكون في بلاد الحجاز، وأجوده ما يؤتى به من أصفهان، وأجوده السريع التفتت، الذي لِفُتَاته بصيص، وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ. قال ابن القيم في بيان فائدة الإثمد: الإثمد ينفع العين ويقويها، ويشد أعصابها، ويحفظ صحتها، وينقي أوساخها، وهو أجود أكحال العين لاسيما للمشايخ، والذين قد ضعفت أبصارهم إذا جعل معه شيء من المسك. زاد المعاد، ابن القيم 4/ 283. وانظر: الطب من الكتاب والسنة لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي.**

**تكأته وجلوسه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم له هيئة مخصوصة في الجلوس، فكان يجلس متكئًا على وسادة، في تواضع سمته العزة، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئًا على وسادة على يساره". أخرجه الترمذي وأبو داود. وهذه الوسادة لم تكن كوسادة الملوك وذوي الجاه، بل كانت متواضعة بسيطة من أدم، وحشوها ليف، فعن عائشة قالت: كان وساد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتكئ عليه من أدم، حشوه ليف. أخرجه مسلم.**

**وعن أنس رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس في المسجد، إذ دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا له: هذا الأبيض المتكئ. رواه البخاري.**

**قال أبو الفرج ابن الجوزي في حديث أنس: الظاهر في الاتكاء الاعتماد على أحد المرفقين. وقال أبو سليمان: لا نعرف المتكئ إلا مَن مال في قعوده معتمدًا على أحد جانبيه، وكل مَن استوى قاعدًا على وطاء فهو متكئ. انظر: كشف مشكل الصحيحين لابن الجوزي.**

**وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟!". قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين". قال: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئًا. قال: "وشهادة الزور أو قول الزور". قال: فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.**

**كما كان يستلقي صلى الله عليه وسلم على هيئة مخصوصة؛ واضعًا إحدى رجليه على الأخرى، وكان صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك إلا لطلب راحة، أو دفع تعب ومشقة نزلت به، فعن عباد بن تميم عن عمه رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيًا في المسجد، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى.**

**وهذا الاستلقاء قد يكون على هيئتين: إما أن تكون رجلاه ممدودتين إحداهما على الأخرى، وهذه الهيئة لا تنكشف معها العورة. وإما أن ينصب ساق إحدى الرجلين ويضع رجله الأخرى على الساق المنصوبة. وهذه الهيئة إن كان يُؤْمَن معها انكشاف العورة فلا بأس بها، فإذا لم يؤمن انكشاف العورة فهذه الهيئة غير جائزة، وهي الهيئة التي ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عنها، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلقٍ على ظهره. رواه مسلم. وهذا القول أحد قولين للعلماء في الجمع بين فعل النبي صلى الله عليه وسلم وبين النهي الوارد عن جابر رضي الله عنه. والقول الآخر هو أن النهي منسوخ بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذهب الحافظ ابن حجر إلى أن القول الأول هو الأولى من ادعاء النسخ؛ لأنه - أي النسخ - لا يثبت بالاحتمال.**

**يقول الإمام النووي: قال العلماء: أحاديث النهي عن الاستلقاء رافعًا إحدى رجليه على الأخرى، محمولة على حالة تظهر فيها العورة أو شيء منها. وأما فعله صلى الله عليه وسلم، فكان على وجه لا يظهر منها شيء، وهذا لا بأس به، ولا كراهة فيه على هذه الصفة. وفي هذا الحديث جواز الاتكاء في المسجد، والاستلقاء فيه. قال القاضي: لعله صلى الله عليه وسلم فعل هذا لضرورة أو حاجة من تعب، أو طلب راحة، أو نحو ذلك. قال: وإلا فقد عُلِم أن جلوسه صلى الله عليه وسلم في المجامع على خلاف هذا، بل كان يجلس متربعًا أو محتبيًا، وهو كان أكثر جلوسه، أو القرفصاء أو مقعيًا، وشبهها من جلسات الوقار والتواضع. قلت: ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان الجواز، وأنكم إذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا، وأن النهي الذي نهيتكم عن الاستلقاء ليس هو على الإطلاق، بل المراد به من ينكشف شيء من عورته، أو يقارب انكشافها. شرح النووي على مسلم 7/ 198.**

**نومه صلى الله عليه وسلم:**

**كان صلى الله عليه وسلم ينام على هيئة تجنبه الاستغراق في النوم، وتساعد على سرعة استيقاظه وانتباهه، وحتى لا يثقل به النوم؛ كان ينام أول الليل، و يحيي آخره. وكان إذا أخذ مضجعه، وضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن، وقال: "رب قني عذابك يوم تبعث عبادك". ثلاثًا. رواه أحمد في المسند عن البراء بن عازب، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وابن حبان، وصححه الحافظ في الفتح. وكان يقول: "باسمك اللهم أموت وأحيا". رواه البخاري. وكان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ فيهما: "قل هو الله أحد"، و"قل أعوذ برب الفلق"، و"قل أعوذ برب الناس". ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري في الطب، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها. قال النووي في الأذكار: النفث: نفخ لطيف بلا ريق. ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحافظ على ذلك في الصحة والمرض، وأمر صحابته أن يواظبوا على ذلك؛ حتى لا يكونوا عرضة لتسلط الشياطين.**

**وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عرَّس بليل اضطجع على شقِّه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه. رواه مسلم. والتعريس: هو نزول المسافر آخر الليل؛ للنوم والاستراحة. فإذا استيقظ من نومه، قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور". رواه البخاري ومسلم.**

**كلامه وفصاحته صلى الله عليه وسلم:**

**أرسل الله النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغ عنه رسالته، وآتاه جوامع الكلم، فكان كلامه صلى الله عليه وسلم فصلاً ظاهرًا، ومنطقه بيِّنًا واضحًا، ما إن يقع على أذن مَنْ يجلس إليه شذرات منه، حتى يحفظه بمجرد سماعه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يوجز المعاني الكثيرة في درر قليلة، ويختصر الكلام اختصارًا، في غير إخلال بالمعنى المراد، ولا تقصير في المقصود من وراء الكلام، فقد ورد في حديث متفق عليه أنه عليه الصلاة والسلام كان يحدث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه. ولربما يتلفظ المتكلم بكلمة لا يعقلها السامع من أول مرة؛ لذلك كان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلمة مرارًا؛ ليعقلها السامع ويعيها، روى البخاري في صحيحه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل عنه". رواه الترمذي.**

**ورُوي أنه كان صلى الله عليه وسلم يعرض عن كل كلام قبيح، ويكني عن الأمور المستقبحة في العرف إذا اضطره الكلام إلى ذكرها. وكان كلامه صلى الله عليه وسلم فصيحًا محبَّرًا، متخيَّر اللفظ، منتخَل الأساليب، متراصِف النظم، متناسِب الفقرات، متشاكِل الأطراف، مهذَّب الألفاظ، منقَّح العبارات، محكَم السبك، لم تتعلق به ركاكة.**

**ولقد كان يخرج الكلام من فِيهِ صلى الله عليه وسلم وكأنه لؤلؤ منضود، ودُرٌّ مرصوف، وتِبر مسبوك، عذبًا سائغًا، ورقيقًا رشيقًا، وسلسًا سهلاً، خفيف الوقع على السمع، وسهل الجري على الألسنة.**

**ولقد كان كلامه صلى الله عليه وسلم كما يقول الجاحظ: هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثُر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: "وما أنا من المتكلفين " [ص: 68]، فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلَّت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفَلْج الفَلْجُ: الظفر والفوز. إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، الخلابة: الخديعة برقيق الحديث. ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنًى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرًا. البيان والتبيين، ص124.**

**ويقول الرافعي عن فصاحته: أما فصاحته صلى الله عليه وسلم فهي من السمت الذي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، فإن العرب وإن هذبوا الكلام وحذفوه، وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، وروية مقصودة، وكان عن تكلِّف يُستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبه أن يكون القول مصنوعًا، مقدَّرًا على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، ومن حذف في موضع إطناب، وإطناب في موضع حذف، ومن كلمة غيرها أليق، ومعنى غيره أُريد، ثم هم في باب المعنى ليس لهم إلا حكمة التجربة، والأفضل ما يأخذ بعضهم عن بعض، قلَّ ذلك أو كثُر. والمعاني هي التي تعمر الكلام، وتستتبع ألفاظه، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه وعلى مقدارها، وعلى وجه تأديتها، يكون مقدار الرأي فيه، ووجه القطع به. بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقْط ولا استكراه، ولا تستزلُّه الفجاءة، وما يبده من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب، والطريقة المحكمة، بحيث لا يجد الناظر إلى كلامه طريقًا يتصفح منه صاعدًا أو منحدرًا. ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام، وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد، وبراعة القصد، والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية.**

**ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له صلى الله عليه وسلم إلا توفيقًا من الله وتوقيفًا؛ إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلى اختلاف مواطنهم، فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافي والمضطرب، ومنهم ذو اللوثة والخالص في منطقه، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بينهم، وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، لا يساهمهم فيها غيرهم من العرب إلا من خالطهم أو دنا منهم دنو المأخذ.**

**فكان صلى الله عليه وسلم يعلم كل ذلك على حقه، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلحنهم، وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا، وأسدَّهم لفظًا، وأبينهم عبارة. ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عُرف لقد كانوا نقلوه، وتحدثوا به، واستفاض فيهم. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ص224، 225.**

**مزاحه صلى الله عليه وسلم:**

**إن من أخص خصائص الإسلام أنه دين واقعي، لا يغفل عن الواقع طرفة عين، ولا يطلب من أتباعه أن يكونوا ملائكة يمشون على الأرض، أو يعيشون في عالم مثالي مبتوت الصلة بالواقع، وإنما جاء ليمد جسور التواصل بين الإنسان والواقع، معترفًا بغرائز البشر، ومقدِّرًا لما جُبِلوا عليه؛ لذلك لم يكبلهم بأغلال تقيد حركاتهم وسلوكهم، فلا يتكلمون إلا ذكرًا، ولا يسمعون إلا قرآنًا، ولا يقضون فراغهم إلا في المساجد، فالحق عز وجل خلق البشر، وجبلهم على الفرح والمرح والضحك واللعب، بحيث يجدون في ذلك الملاذ الذي يهرعون إليه هروبًا من غلظ الحياة وقسوتها. ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في المزج بين الدين والدنيا، فكانت حياته صلى الله عليه وسلم صورة رائعة لما ينبغي أن تكون عليه الحياة الإنسانية؛ فلم يكن فظًّا غليظًا، ولا جافًّا قاسيًا، وإنما هو مع ربه عبد شكور، يصوم حتى يقال إنه لا يفطر، ويفطر حتى يقال إنه لا يصوم، ويقوم حتى تتورم قدماه، مطيلاً الخشوع والبكاء، مستئنسًا في خلواته بعبادة ربه وطاعته، فإذا نزل بساحة الحياة كان بشرًا كسائر البشر؛ يمزح ويفرح ويهش ويبش ويداعب ويلاعب، فلم تكن حياته نمطًا واحدًا لا يعرف غيره، وإنما هو فيما يخص الدين نبي من الأنبياء، لا يقول إلا حقًّا، ولا ينطق إلا صدقًا. أما ما يخص حياته، فهو بشر من البشر، يخضع لما فطروا عليه، ويسري عليه ما جبل البشر عليه؛ فيفرح كما يفرحون من غير إفراط ولا إيذاء لأحد، ويداعب كما يداعبون من غير أن تسقط المداعبة أسوار كماله، أو تنتقص من قدره وجلاله، ويمزح كما يمزحون من غير مجافاة للحق أو حيد عن الصدق، ويتفكه كما يتفكهون، من غير حمل لإثم أو سقوط في معصية، وكل أفعاله صلى الله عليه وسلم من مزاح وملاعبة وفكاهة ومداعبة كانت على هيئة وصفة لا تسقط الهيبة والعظمة من العيون، ولا تنحو بالنفس إلى الإفراط فيه، بحيث تتخذه ديدنًا لها وعادة من عاداتها، وفوق هذا وذاك تتحقق مصلحة ارتآها النبي صلى الله عليه وسلم، موقوتة بوقتها، توجد نوعًا من الأنس وتأليف القلوب، ومواساة الضعفاء والمحتاجين، والتفريج عنهم.**

**وقد تكلم العلماء في صفة مزاحه صلى الله عليه وسلم فقال الإمام الغزالى: فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فكيف ينهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقًّا، ولا تؤذي قلبًا، ولا تفرط فيه، وتقتصر أحيانًا على الندور، فلا حرج عليك. ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة؛ يواظب عليه، ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينبغى أن يغفل عن هذا.**

**وقال الإمام ابن حجر الهيثمى: إن المداعبة لا تنافي الكمال، بل هي من توابعه ومتمماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي، بأن تكون على وفق الصدق والحق، ويقصد (بها) تأليف قلوب الضعفاء وجبرهم، وإدخال السرور عليهم والرفق بهم، ومزاحه صلى الله عليه وسلم سالم من جميع هذه الأمور، يقع على جهة الندرة لمصلحة تامة، من مؤانسة بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنة، وما قيل: إن الأظهر أنه مباح لا غير. فضعيف؛ إذ الأصل من أفعاله صلى الله عليه وسلم وجوب أو ندب للتأسي به فيها، إلا لدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه، فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين.**

**وإننا إذا استعرضنا صفحة حياته، نجد أمثلة كثيرة يمازح فيها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم بالقول والفعل، مع الأخذ في الاعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول إلا حقًّا، قال تعالى: "وما ينطق عن الهوى" [النجم: 3]. ورُوِي عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا! قال صلى الله عليه وسلم: "لا أقول إلا حقًّا". رواه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح.**

**وفي رواية ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنى لأمزح ولا أقول إلا حقًّا". رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط.**

**أمثلة من مزاحه صلى الله عليه وسلم:**

**\* مزاحه مع أصحابه رضي الله عنهم:**

**عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا ذا الأذنين". يعني يمازحه. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح.**

**وعنه أيضًا أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟". رواه البخاري ومسلم والترمذي في الشمائل. قال أبو عيسى: وفِقْه هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح. وفيه أنه كنى غلامًا صغيرًا فقال له: "يا أبا عمير". وفيه أنه لا بأس أن يُعطى الصبي الطير ليلعب به، وإنما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟". لأنه كان له نغير يلعب به، فمات، فحزن الغلام عليه، فمازحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟". انظر: الشمائل المحمدية، لأبي عيسى الترمذي.**

**وعنه أيضًا أن رجلاً استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إني حاملك على ولد ناقة". فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "وهل تلد الإبل إلا النوق؟". رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح.**

**\* مزاحه مع رجل من أهل البادية:**

**عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، وكان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان دميمًا، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: مَن يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لكن عند الله لست بكاسد، أنت غال". وفى رواية: "أنت عند الله رابح". رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح.**

**مزاحه مع زوجاته:**

**عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي جارية، قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن. فقال لأصحابه: "تقدموا". فتقدموا، ثم قال: "تعالي أسابقك". فسابقته، فسبقته على رجلي، فلما كان بعد - وفي رواية: فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت - خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: "تقدموا". فتقدموا، ثم قال: "تعالي أسابقك". ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله، وأنا على هذا الحال؟! فقال: "لتفعلن". فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: "هذه بتلك السبقة". رواه البيهقي في سننه الكبرى، وقال الألباني: صحيح.**

**مزاحه مع امرأة عجوز:**

**عن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: "يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز". قال: فولت تبكي. فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: "إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكارًا. عربًا أترابًا" [الواقعة: 35 - 37]. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: حسن.**

**مزاحه مع الأطفال:**

**روي عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفُّ عبد الله، وعبيد الله، وكثير بن العباس، ثم يقول: "مَن سبق إليَّ فله كذا وكذا". قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم". رواه أحمد في المسند.**

**مشيته صلى الله عليه وسلم:**

**كانت مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدل المشيات، من غير سرف كمشية الهوج، الهوج: الحمقى. ولا تماوت يدل على المهانة والتخافت، بل كان أسرع الناس مشية، كأنما تُطوى له الأرض طيًّا، غير مكترث لأصحابه وقد أجهدوا، خفيف الحركة، متقارب الخطوات متتابعها، قوي العضلات، شديد الحركات، يميل يمينًا وشمالاً كأنما ينحدر من صبب، الصبب: ما انحدر من الأرض. يقبل جميعًا ويدبر جميعًا، وإذا التفت وراءه التفت كله، من غير لي لعنقه يمنة أو يسرة، ويقطع ما يقطع بالجهد من غير جهد ولا مشقة، تعرف الجلالة والمهابة من مشيته، عليه سمت الوقار، وأمارة العظمة والفخار. يمشي أصحابه أمامه؛ أي عن يمينه وشماله، ويتركون ظهره للملائكة.**

**قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مكترث. رواه أحمد والترمذي في الشمائل.**

**وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى يتكفأ. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح. وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان إذا مشى مشى مجتمعًا ليس فيه كسل. رواه أحمد. وقال جابر رضي الله عنه: كان إذا مشى لم يلتفت. رواه الحاكم، وقال الألباني: صحيح بشواهده. وقال عوف: كان لا يضحك إلا تبسمًا، ولا يلتفت إلا جميعًا. قال الألباني: إسناده مرسل صحيح. وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة. رواه ابن حبان، وابن ماجه، وقال الألباني صحيح. وقال أيضًا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه: "امشوا أمامي، وخلوا ظهري للملائكة". رواه أبو نعيم في الحلية. ورواه الحاكم بلفظ: "لا تمشوا بين يدي ولا خلفي؛ فإن هذا مقام الملائكة". وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب. وقال أيضًا: إذا مشى تقلع.**

**والتقلع - كما قال ابن القيم: الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، وهي أعدل المشيات، وأروحها للأعضاء، وأبعدها من مشية الهوج والمهانة والتماوت، فإن الماشي إما أن يتماوت في مشيه ويمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة، وهي مشية مذمومة قبيحة، وإما أن يمشي بانزعاج واضطراب مشي الجمل الأهوج، وهي مشية مذمومة أيضًا، وهي دالة على خفة عقل صاحبها، ولا سيما إن كان يكثر الالتفات حال مشيه يمينًا وشمالاً، وإما أن يمشي هونًا، وهي مشية عباد الرحمن، كما وصفهم بها في كتابه فقال: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا" [الفرقان: 63]. قال غير واحد من السلف: بسكينة ووقار، من غير تكبر ولا تماوت، وهي مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه مع هذه المشية كان كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تُطوى له حتى كان الماشي معه يجهد نفسه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير مكترث، وهذا يدل على أمرين: أن مشيته لم تكن مشية تماوت ولا مهانة، بل مشية أعدل المشيات. زاد المعاد، 1/ 160.**

**ولقد كانت مشية الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن المشيات وأجملها، فالمشيات -كما يقول ابن القيم - عشرة أنواع: التكفؤ والهون والتقلع، والرابع السعي، والخامس الرمل؛ وهو أسرع المشي مع تقارب الخطى ويسمى "الخبب"، وفي الصحيح من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم خبَّ في طوافه ثلاثًا ومشى أربعًا. السادس النسلان؛ وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي ولا يكرثه. وفي بعض المسانيد أن المشاة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع، فقال: "استعينوا بالنسلان". والسابع الخوزلى؛ وهي مشية التمايل، وهي مشية يقال إن فيها تكسرًا وتخنثًا. والثامن القهقرى؛ وهي المشية إلى وراء. والتاسع الجمزى؛ وهي مشية يثب فيها الماشي وثبًا. والعاشر مشية التبختر، وهي مشية أولي العجب والتكبر، وهي التي خسف الله سبحانه بصاحبها لما نظر في عطفيه وأعجبته نفسه، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة. وأعدل هذه المشيات مشية الهون والتكفؤ. المرجع السابق.**

**عيشته صلى الله عليه وسلم:**

**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزهد الناس في الدنيا، اكتفى من الدنيا بالقليل فكانت عيشته كفافًا، ولقد كان يمر على أهل بيته الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة متتابعات ولا يوقد في بيته نار! فكان يجوع يومًا ويشبع يومًا على التمر والماء! وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله، وكان يقول: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا". أي ما يسد الجوع. متفق عليه.**

**وليس ذلك من تخلي ربه عنه، تعالى الله عن ذلك، فما ينبغي له عز وجل أن يترك عبدًا له صالحًا يحاصره الجوع وقلة ذات اليد، فضلاً عن أن يكون هذا العبد نبيًّا مرسلاً من عنده تعالى، ولو شاء الله عز وجل لجعل لنبيه أمثال الجبال ذهبًا وفضة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رضي بعيشته زاهدًا في الدنيا وزخارفها، فهو ليس من الملوك الذين يرفلون في الثياب المزخرفة، وينامون على الحرير والديباج، ويأكلون ما تشتهي أنفسهم، لا = ليس هو من هؤلاء، وإنما هو نبي من أنبياء الله، الذين رضوا من الدنيا بما يقربهم من ربهم سبحانه وتعالى، وغضوا طرفهم عما يشغلهم عن طاعة ربهم وعبادته.**

**ولله در من قال:**

**ينام كسرى على الديباج ممتلئا= كِبرًا وطوِّق بالقينات والخدم**

**لا همَّ يحمله لا دين يحكمه = على كؤوس الخنا في ليل منسجم**

**بيت من الطين بالقرآن تعمره = تبًّا لقصر منيف بات في نغم**

**طعامك التمر والخبز الشعير وما = عيناك تعدو إلى اللذات والنعم**

**تبيت والجوع يلقي فيك بغيته = إن بات غيرك عبد الشحم والتخم**

**ولكي نقف على وصف دقيق لعيشة النبي صلى الله عليه وسلم، فلنترك السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم الناس بمعيشته ومعيشة أهله تحدثنا عن عيشته صلى الله عليه وسلم، تقول عائشة: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا، ولقد مات وما في بيتي يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، وقال لي: "إني عُرض عليَّ أن يُجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، بل أجوع يومًا وأشبع يومًا، فأما اليوم الذي أجوع فيه، فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه، فأحمدك وأثني عليك".**

**وقالت أيضًا: كنا يمر بنا الهلال والهلال والهلال ما نوقد بنار لطعام، إلا أنه التمر والماء، إلا أنه حولنا أهل دور من الأنصار فيبعثون بغزيرة الشاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكان للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك اللبن. رواه البيهقي في سننه الكبرى.**

**وقالت أيضًا: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز البر ثلاثًا، حتى مضى لسبيله. رواه مسلم. أي: مات صلى الله عليه وسلم.**

**وقالت أيضًا: كنا نخرج الكراع بعد خمس عشرة فنأكله. فسُئِلت: ولم تفعلون؟ فضحكت وقالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز مأدوم حتى لحق بالله. رواه البيهقي في سننه الكبرى.**

**وقالت أيضًا: دخلت عليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا يا عائشة؟". قلت: فلانة رأت فراشك فبعثت إلي بهذا. فقال: "ردِّيه يا عائشة". قالت: فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فقال: رديه، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة. أخرجه الإمام أحمد في الزهد.**

**وهذا عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المقربين إليه، يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.**

**وهذا أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما أمسى عند آل محمد صاع تمر، ولا صاع حب، وإن عنده يومئذٍ لتسع نسوة. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.**

**وقال قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبازه قائم، فقال: كلوا فما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط. أخرجه البخاري.**

**أكله صلى الله عليه وسلم:**

**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل مما يأكل منه قومه، ويتناول ما جرت العادة بتناوله على موائدهم، ولم يحمل نفسه على طعام قط قدم إليه، إن اشتهاه أكله، وإن عافه تركه، كما أنه لم يكن يحبس نفسه على نوع واحد من الطعام، فكان يأكل ما يقدم إليه إذا وجد في نفسه حاجة إليه، فيطعم منه بقدر ما يزيل تلك الحاجة من غير إسراف، وكان يكره الطعام الحار حتى تذهب حرارته ويخمد دخانه، وجمع بين إدامين في وقت واحد، ولم يصب من طعام الصدقة شيئًا؛ لأنها محرمة عليه.**

**فإذا جلس إلى الطعام لم يجلس متكئًا؛ لأن هذا لم يكن من عادة العرب الذين كانت عاداتهم أوسط العادات؛ لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبع سنن العرب وعاداتهم في الجلوس إلى الطعام، فكان ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى، أو يجثو على ركبتيه ويجلس على ظهر قدميه. فإذا شرع في الأكل، ابتدأ باسم الله، وأكل بيمينه، وأكل مما يليه، وأكل من حافتي الطعام لا من وسطه. وإذا فرغ من طعامه لم يمسح يده حتى يلعقها هي والصحفة؛ التماسًا للبركة. فإذا رُفعت المائدة، حمد الله قائلاً: "الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة". وفي بعض الروايات قال: "الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا". وفي بعضها الآخر: "اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه".**

**وأما أنواع الطعام التي أكلها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي - كما يقول المقريزي في إمتاع الأسماع: اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل على مائدة وعلى الأرض، وكانت له قصعة كبيرة، وأكل خبز الشعير، وائتدم بالخل، وأكل القثاء والدُّباء والسمن والأقط والحيس والزبد واللحم والقديد والشواء ولحم الدجاج، ولحم الحبارى، وأكل الخبيص والهريسة، وعاف أكل الضب، واجتنب ما تؤذي رائحته، وأكل الجمار والتمر والقنب والرطب والبطيخ، وكان يحب الحلواء والعسل، وجمع بين إدامين، ولم يأكل متكئًا ولا صدقة. إمتاع الأسماع، المقريزي 7/ 262.**

**وهذه الأطعمة تفصيلاً هي:**

**1- الأرنب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أنْفَجنَا أرنبًا بمَرِّ الظَّهْران، فسعى القوم فَلَغَبُوا، وأدْرَكتُها فأخذتها وأتيتُ بها أبا طلْحةَ، فذبحها بمَروَة، فبعثَ معي بفَخِذَيها وبِوَركِها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله. قيل له: أكله؟ قال: قَبِلَه. أخرجه البخاري.**

**2- لحم الحبارى، الحبارى: طائر طويل العنق، رمادي اللون على شكل الإوزة. فعن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده قال: أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حبارى. أخرجه أبو داود.**

**وعن جابر رضي الله عنه قال: أطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل، ونهانا عن لحوم الحمر. رواه مسلم.**

**3- الدجاج، عن زهدم أن أبا موسى أتي بدجاجة فتنحى رجل من القوم، فقال: ما شأنك؟ قال: إني رأيتها تأكل شيئًا قذرته، فحلفت أن لا آكله. فقال أبو موسى: ادنُ فكل؛ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكله. وأمره أن يكفِّر عن يمينه. متفق عليه.**

**4- البصل، عن أبي زياد خيار بن سلمة أنه سأل عائشة عن البصل، فقالت: إن آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فيه بصل. أخرجه أبو داود.**

**5- الحوت يلقيه البحر، عن جابر رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمَّر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عيرًا العير: الإبل التي تحمل الطعام وغيره. لقريش، وزودنا جرابًا الجراب: وعاء من جلد. من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط الخبط: ورق السلم. ثم نبله بالماء، فنأكله. قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فوقع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. فأتيناه، فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميتة. ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنَّا. قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال القلال: جمع قلة، وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه؛ أي يحملها. الدهن، ونقتطع منه الفدر الفدر: القطع. كالثور - أو كقدر الثور - فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم في وقب عينه، الوقب: هو داخل عينه ونقرتها. وأخذ ضلعًا من أضلاعه، فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا رحل: أي جعل عليه رحلاً. فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق، وشائق: قال أبو عبيد: هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ولا ينضج ويحمل في الأسفار، يقال: وشقت اللحم فاتشق. والوشيقة: الواحدة منه. والجمع: وشائق ووشق. وقيل: الوشيقة: القديد. فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له، فقال: "هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟". قال: فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، فأكله. أخرجه مسلم.**

**6- الدُّبَّاء، الدباء: القرع. عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: إن خياطًا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه. قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرَّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزًا من شعير، ومرقًا فيه دباء وقديد. قال أنس: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي الصحفة. قال: فلم أزل أحب الدباء منذ يومئذٍ. متفق عليه.**

**7- الجبن، عن ابن عمر قال: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك، فدعا بالسكين، فسمى وقطع وأكل. رواه أبو داود إلى قوله: وقطع.**

**8- الرطب والبطيخ والقثاء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب. أخرجه الترمذي، وأبو داود وزاد: يقول: "نكسر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا". قال ابن القيم في زاد المعاد: وفي البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شيء غير هذا.**

**وعن عبد الله بن جعفر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب. أخرجه مسلم.**

**9- التمر، عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة، فقال: "هذه إدام هذه". وأكل. رواه أبو داود.**

**10- الزبد، عن ابني بسر السلميين قالا: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمنا إليه زبدًا وتمرًا، وكان يحب الزبد والتمر. أخرجه أبو داود.**

**11- الحلواء، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل. متفق عليه.**

**12- الثريد، عن ابن عباس قال: كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد الثريد: الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق، وأحيانًا يكون من غير اللحم من الخبز والثريد من الحيس. الحيس: طعام يطبخ فيه تمر ولبن مجفف ويضاف لهما السمن. أخرجه أبو داود.**

**13- الذراع، عن أبي هريرة قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة. متفق عليه.**

**14- الكباث، الكباث: ثمر الأراك الناضج. عن جابر قال: لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران نجني الكباث، ويقول: "عليكم بالأسود منه؛ فإنه أطيب". فقلت: أكنت ترعى الغنم؟ قال: "وهل من نبي إلا رعاها؟!". متفق عليه.**

**15- الخل، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الإدام، فقالوا: ما عندنا إلا الخل. فدعا به، فجعل يأكل به، ويقول: "نِعم الإدام الخل، نعم الإدام الخل". قال جابر: فما زلت أحب الخل منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد في مسنده.**

**16- القديد، عن عائشة قالت: كنا نرفع الكراع الكراع من البقر والغنم: ما دون الركبة من الساق. فيأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خمس عشرة من الأضاحي. رواه ابن ماجه في سننه.**

**17- الخبز الملبق بالسمن، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: "وددت لو أن عندنا خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة الملبقة: المبلولة المخلوطة خلطًا شديدًا. بسمن نأكلها". قال: فسمع بذلك رجل من الأنصار فاتخذه، فجاء به إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في أي شيء كان هذا السمن؟!". قال: في عكة ضب العكة: قِربة صغيرة تتخذ وعاء للسمن أو العسل، وهي بالسمن أخص. قال: فأبى أن يأكله. أخرجه ابن ماجه.**

**وهذه أحاديث صحيحة أخرى عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الأكل:**

**عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: بسم الله. فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله على أوله وآخره". رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه.**

**وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت. فإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء". رواه مسلم. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يستحل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه". رواه مسلم.**

**وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنه لو سمى لكفاكم". رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.**

**وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله". رواه مسلم.**

**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يمسح أحدكم يده حتى يلعقها؛ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة". رواه ابن ماجه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه. متفق عليه.**

**وعن أنس رضي الله عنه قال: ما أكل النبي صلى الله عليه وسلم خبزًا مرققًا، ولا شاة مسموطة، حتى لقي الله عز وجل. رواه البخاري. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البركة تنزل في وسط الطعام؛ فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه". رواه الترمذي وصححه.**

**وأخرج أبو داود هذا الحديث بلفظ: "إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يأكل من أعلى الصحفة، ولكن ليأكل من أسفلها؛ فإن البركة تنزل من أعلاه". وعن أنس قال: ما أكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة. قال قتادة: فعلام كانوا يأكلون؟ قال: على السفر. رواه البخاري.**

**وعن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: "يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك". متفق عليه.**

**وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا طعم طعامًا لعق أصابعه الثلاث، وقال: "إذا وقعت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان". وأمرنا أن نسلت القصعة، وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة". رواه الترمذي.**

**وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يمسح يده حتى يلعقها". متفق عليه. وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة". رواه مسلم.**

**وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته، قال: "الحمد لله كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا". رواه البخاري.**

**وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل وشرب، قال: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين". رواه أحمد وأبو داود. وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوة. غفر له ما تقدم من ذنبه". رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وحسنه.**

**وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه. وإذا سقي لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه؛ فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن". رواه أبو داود.**

**شرابه وشربه صلى الله عليه وسلم:**

**كان أحب الشراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم الحلو البارد، سيد الأشربة؛ لأنه أطفأ لحرارة الظمأ، وأنفع للبدن، وأبعث على الشكر. قال ابن القيم: إذا جمع الماء الحلاوة والبرد، كان أنفع للبدن، وأحفظ للصحة، وأكثر تغذية، وتنفيذ للطعام إلى الأعضاء، والفاتر ينفخ ويفعل ضد ذلك.**

**كما كان صلى الله عليه وسلم يحب الماء القراح والعسل، ونقيع التمر أو الزبيب، وكان يحب أيضًا اللبن، فكان من ألذ الأشربة إليه، وخاصة إذا مزج بالتمر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله، فقال لي: "الشربة لك، فإن شئت آثرت بها خالدًا". فقلت: ما كنت لأوثر على سؤرك أحدًا. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن أطعمه الله طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه، ومن سقاه الله عز وجل لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه". ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن". رواه الترمذي وحسنه.**

**أما عن صفة شربه صلى الله عليه وسلم، فكان يشرب قاعدًا، وقد كان يشرب وهو قائم، غالبا لبيان جواز الشرب من قيام، ويشرب آخر القوم، ويقول: "إن ساقي القوم آخرهم شربًا". رواه مسلم. ويكرر شربه ثلاث مرات، يشرب مرة، ثم يرفع الإناء عن فِيهِ فيتنفس خارجه، ثم يعود فيشرب، ثم يزيل الإناء عن فِيهِ ويتنفس خارج الإناء. هكذا ثلاث مرات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سقيت النبي صلى الله عليه وسلم من زمزم، فشرب وهو قائم. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الإناء ثلاثًا إذا شرب، ويقول: "هو أمرأ وأروى". وفي رواية لمسلم: كان يتنفس في الشراب ثلاثًا.**

**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم وقربة معلقة، فشرب من فم القربة وهو قائم، فقامت أم سليم إلى رأس القربة فقطعتها. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح.**

**وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائمًا وقاعدًا. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح.**

**ضحكه وبكاؤه صلى الله عليه وسلم:**

**لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبوسًا، مقطب الوجه، متحجر الجبين، بل كان يضحك مما يُضحك منه عادة؛ لأن هذا أمر جِبِلِّيٌّ لا إرادة للإنسان فيه؛ لذا كانت تسره الطُّرفة، وتسعده الدعابة، ولا يحدث حديثًا إلا شفعه بابتسامة غير مختلقة ولا مفتعلة، يستنير على إثرها وجهه. وكان ضحكه صلى الله عليه وسلم غير متكلف إلى حد ينافي كماله، وكان جل ضحكه تبسمًا، كعادة سائر الأنبياء، وغاية ضحكه أن تبدو نواجذه، فتكشف عن ثغر باسم نيِّر كأن النور يفيض بين ثناياه، وكل ذلك دون رفع صوت أو ظهور قهقهة، وإذا أخذه الضحك وضع يده على فِيهِ؛ حتى لا يظهر شيء من باطن فمه.**

**وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان أضحك الناس، ولا يتعارض هذا مع ما ورد من أنه كان لا يضحك إلا تبسمًا؛ لأن التبسم كان هو الغالب على أحواله، أو كما قيل بأن كل راوٍ وصفه على الحال التي رآه عليها، ونعته بما شاهده عليه، فاختلاف الروايات يعزى إلى اختلاف الأزمان والمواطن التي كان يشاهد فيها النبي، أو أنه صلى الله عليه وسلم كان أول الأمر يضحك، ثم صار لا يضحك إلا تبسمًا.**

**يقول المناوي: كان من أضحك الناس لا ينافيه خبر أنه كان لا يضحك إلا تبسمًا؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، فمن أخبر به أخبر عن أكثر أحواله، ولم يعرج على ذلك لندوره، أو كل راوٍ روى بحسب ما شاهد، فالاختلاف باختلاف المواطن والأزمان، وقد يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتى تبدو نواجذه، وكان أخرى لا يضحك إلا تبسمًا. فيض القدير 5/ 179.**

**وعن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح.**

**وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم أول رجل يدخل الجنة، وآخر رجل يخرج من النار: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من كبارها، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة. فيقول: إن لي ذنوبًا لا أراها ههنا". قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. رواه الترمذي في الشمائل، وقال الألباني: صحيح. وعن عوف قال: كان لا يضحك إلا تبسمًا، ولا يلتفت إلا جميعًا. قال الألباني: إسناده مرسل صحيح.**

**وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه سُئِل: أكنت تجالس رسول الله؟ قال: نعم. كان طويل الصمت قليل الضحك. رواه أحمد في مسنده. وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي. متفق عليه. ويقول جابر بن سمرة رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: كان لا يضحك إلا تبسمًا. رواه الحاكم.**

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكثروا الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب". رواه ابن ماجه. وعن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا قط ضاحكًا، حتى أرى منه لهواته اللهاة: أقصى حلقه. إنما كان يبتسم. متفق عليه.**

**ويقول فضالة بن عمير الليثي رضي الله عنه: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، وكنت أريد قتله، فلما اقتربت من الرسول صلى الله عليه وسلم قال لي: "أفضالة؟". قلت: نعم، فضالة يا رسول الله. قال: "ماذا كنت تحدث نفسك؟". قلت: لا شيء، كنت أذكر الله. قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال لي: "استغفر الله". ثم وضع يده على صدري، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه. الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر 2/ 440.**

**أما بكاؤه صلى الله عليه وسلم، فكان صلى الله عليه وسلم أرق ما يكون، يكشف بكاؤه عن نفس رحيمة صافية، فكان صلى الله عليه وسلم يبكي خوفًا وإشفاقًا على أمته، ويبكي من خشية الله، وعند سماع القرآن، وقيام الليل.**

**وكان صلى الله عليه وسلم إذا بكى لم يرفع صوته بالبكاء، وكما كان ضحكه دون قهقهة، فكذلك بكاؤه كان بلا شهيق، وغاية بكائه أن ينهمل الدمع من عينيه الشريفتين، ويسمع لصدره أزيز. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليَّ". قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: "إني أشتهي أن أسمعه من غيري". قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا" [النساء: 41]. قال لي: "كف - أو أمسك". فرأيت عينيه تذرفان. متفق عليه.**

**مجلسه صلى الله عليه وسلم:**

**كانت كل أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم تشي بتواضع جمٍّ، لا مثيل له ولا نظير، فكان لا يقلد أرباب الجاه والسلطان - وهو أوجههم وأعظمهم - في اتخاذهم مجالس يجتمع لهم فيها ذوو الأغراض والمناصب، مع أنه لو فعل ذلك ما كان عليه من حرج، إلا أنه ليس له في ذلك حاجة؛ لأن مجالس هؤلاء مظهر من مظاهر فخر زائل، وأثر من آثار عز حائل. أما مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فهو مظهر من مظاهر عظمته وجلال قدره، وحسب من يجالسه من الصحابة الكرام أن تصيبهم نفحة من نفحات عظمته وجلاله، فترفع لهم شأنًا وتقيم لهم بين العالمين قدرًا، وقبل هذا وذاك يكفيهم ما ينهلونه من مشكاة نوره ما يبددون به حنادس الظلمات وغياهب الضلالات، ولا عجب في ذلك؛ فنبيُّهم صلى الله عليه وسلم كان يجلِس على الأرض والحصير والبِساط.**

**وكان صلى الله عليه وسلم إذا استقبل في مجلسه أحدًا، أقبل بوجه باشٍّ كله بشر وسرور، فإذا صافحه لم ينزع يده الشريفة من يده حتى ينزع القادم يده أولاً، ولا يصرف وجهه الكريم عنه حتى يكون هو أول صارف لوجهه، فإذا استقر في مكانه بالمجلس وحدثه صلى الله عليه وسلم أقبل بوجهه وحديثه إليه، حتى لو كان من أشر الناس فيتألفه بذلك.**

**وكان مجلسه مجلس علم وحلم، وحياء وسكينة، وصيانة وأمانة، تُتلى فيه آيات الله تعالى، وترسى فيه الآداب والأخلاق، وتغض فيه الأصوات، ولا يجهر فيه بالقول، وتصان فيه الحُرم، ويكثر فيه الكرم، وتتنزل عليه النعم وترفع عنه النقم، الملائكة تحضره وتحفه، والله سبحانه وتعالى يذكر حاضريه فيمن عنده، ضعيفه قوي بإيمانه، وقويه متواضع بمقامه، وكبيره يُوقَّر، وصغيره يرحم، وكريمه يكرَّم، ولا تفاضل فيه إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولا يُخلَى حتى يلين الجافي، ويستكين المتعالي، ويهذب وحشي الطباع، وتقضى حوائج ذوي الحاجات، فإذا انفض المجلس - وما أصعب ذلك على الحاضرين - لا يقومون إلا على ذكر الله، فيقولون: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك". رواه مسلم.**

**عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم يُرَ مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له. رواه أبو داود والترمذي بلفظه.**

**وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكِّئًا على عَصَا، فقمنا إليه، فقال: "لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا". رواه البيهقي في شعب الإيمان.**

**وقال: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار". رواه أبو داود. وقال: "من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، الترة: الحسرة. ومن اضطجع مضجعًا لا يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة". رواه أبو داود. وفي لفظ: "وما مشى أحد ممشى لم يذكر الله فيه، إلا كان عليه ترة". رواه ابن حبان. وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك" رواه الترمذي. وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك إذا أراد أن يقوم من المجلس، فقال له رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى. قال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".**

## 

## وصف متعلقات النبي صلى الله عليه وسلم

**فراشه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام على الفراش ويتدثر باللحاف، فقد ثبت أنه قال لبعض نسائه: "لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه ما أُنزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها". رواه البخاري. وكان فراشه صلى الله عليه وسلم من أدم محشو بالليف، الأدم: الجلد المدبوغ. ووسادته أيضًا كان حشوها ليف، فعن عمر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكئًا على وسادة من أدم حشوها ليف. قلت: يا رسول الله: ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله. فقال: " أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيبتاتهم في الحياة الدنيا". وفي رواية: " أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ ". متفق عليه.**

**وسُئلت حفصة، ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسحًا نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: "ما فرشتم لي الليلة" قالت: قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك. قال: "ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتني وطاءته صلاتي الليلة". رواه الترمذي في الشمائل.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة فِراشه صلى الله عليه وسلم:**

**فِرَاشُهُ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ = لِيفٌ فَلاَ يُلْهِي بِعُجْبٍ زَهْوُهُ**

**وَرُبَّمَا نَامَ عَلَى الْعَبَاءَةِ = بِثَنْيَتَينِ عِنْدَ بَعْضِ النِّسْوَةِ**

**وَرُبَّمَا نَامَ عَلَى الْحَصِيرِ = مَا تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى السَّرِيرِ**

**خاتم أصبعه صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاتم، اتخذه لما أراد أن يكتب للعجم، وأُخبر أن العجم لا تقبل إلا الكتاب المختوم، فاصطنع له خاتمًا، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى العجم، قيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتابًا عليه ختم. فاصطنع خاتمًا، فكأني أنظر إلى بياضه في يده. رواه مسلم.**

**وكان هذا الخاتم مصنوعًا من فضة، وفصه أي: حجره. كذلك. ونُقش عليه من أسفل إلى أعلى: محمد رسول الله؛ لكي لا يكون اسم الرسول فوق لفظ الجلالة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وضعه في أصبعه، يجعل فصه مما يلي كفه. وكان يلبسه في يمينه، وورد في روايات أخرى صحيحة السند أنه كان يلبسه في يساره، ولا تعارض؛ حيث يمكن الجمع بأن كلاًّ منهما وقع في بعض الأحوال، أو أنه صلى الله عليه وسلم كان له خاتمين، يلبس كل واحد في يد.**

**قال الحافظ العراقي ناظمًا ذلك:**

**خَاتَمُهُ مِنْ فِضَّةٍ وَفَصُّهُ = مِنْهُ وَنَقْشُهُ عَلَيْهِ نَصُّهُ**

**مُحَمَّدٌ سَطْرٌ رَسُولُ سَطْرُ = اللهُ سَطْرٌ ليسَ فِيهِ كَسْرُ**

**وفَصُّهُ لِبَاطِنٍ يَخْتِمُ بِهْ = وَقَالَ لا يُنْقَشْ عَلَيْهِ يَشْتَبِهْ**

**يَلْبِسُهُ كَمَا رَوَى الْبُخَارِي = فِي خِنْصَرٍ يَمِينٍ أَوْ يَسَارِ**

**كِلاهُمَا فِي مُسْلِمٍ وَيُجْمَعُ = بَأَنَّ ذِا فِي حَالَتَيْنِ يَقَعُ**

**أَوْ خَاتَمَيْنِ كُلُّ وَاحِدٍ بِيَدْ = كَمَا بِفَصِّ حَبَشِيٍّ قَدْ وَرَدْ**

**أما الأصبع الذي كان يضع الخاتم فيه، فهو الخنصر كما ورد في الصحيحين؛ لذا فالسنة وضع الخاتم في الخنصر، وحكمة تعيين الخنصر أنه أبعد عن الامتهان فيما يتعاطاه الإنسان باليد، كما لا يجعل اليد تنشغل عما تزاوله من الأعمال، بخلاف ما لو كان في غير الخنصر.**

**وقد صار هذا الخاتم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، حتى سقط في بئر أريس، أريس (بفتح الهمزة وكسر الراء): هي بئر بحديقة من مسجد قباء. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمًا من وَرِق الورق: الفضة. فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر ويد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع في بئر أريس، نقشُه: محمد رسول الله. رواه مسلم.**

**ويقال في صفة خاتمه كما تقدم:**

**يَلْبَسُهُ كَمَا رَوَى الْبُخَارِي = فِي خِنْصَرٍ يَمِينٍ أَوْ يَسَارِ**

**كِلاهُمَا فِي مُسْلِمٍ وَيُجْمَعُ = بَأنَّ ذَا فِي حَالَتَينِ يَقَعُ**

**أَوْ خَاتَمَينِ كُلُّ وَاحِدٍ بِيَدْ = كَمَا بِفَصٍّ حَبَشِيٍّ قَدْ وَرَدْ**

**عمامته صلى الله عليه وسلم:**

**العمائم تيجان العرب، وهي زيهم، وقد ورد أن الملائكة الذين نصروا صلى الله عليه وسلم يوم بدر كانوا بعمائم صفر؛ لذا اعتم النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر لما رأى الملائكة تلبسها، فقد قال جابر رضي الله عنه: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء. رواه مسلم.**

**يقول ابن القيم: ولم يُذكر في حديث جابر‏: ذؤابة. فدلَّ على أن الذؤابة لم يكن يرخيها دائمًا بين كتفيه‏.‏ وقد يقال‏: ‏ إنه دخل مكة وعليه أهبةُ القتال والمِغفَرُ على رأسه، فلبسَ في كل مَوطِنٍ ما يُناسبه‏.‏ وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية - قدَّس اللَّه روحه في الجنَّة - يذكر في سبب الذُّؤابة شيئًا بديعًا، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة، لما رأى ربَّ العزَّة تبارك وتعالى، فقال‏: ‏ "‏يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعلَى‏؟".‏ قُلْتُ‏: ‏ "لا أَدْرِي. فَوضع يَدَهُ بَيْن كَتِفَيَّ فَعَلِمْت مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْض‏".‏‏.‏ الحديث‏.‏ وهو في الترمذي، وسُئِل عنه البخاري، فقال: صحيح‏.‏ قال‏: ‏ فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه، وهذا مِن العلم الذي تنكره ألسنةُ الجهال وقلوبُهم، ولم أرَ هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره‏. زاد المعاد ‏1/ 130.**

**وبلغ من حرص النبي صلى الله عليه وسلم واهتمامه بأمر العمامة أنه كان إذا ولى واليًا عمَّمه، ويرخي له عذبة من الجانب الأيمن نحو الأذن. ولقد وردت أخبار صحاح تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتم أحيانًا بعمامة بيضاء، وأحيانًا أخرى خضراء، وفي حديث جابر عمامة سوداء، وليس هناك تعارض بين عموم الخبر الصحيح الآمر بلبس البياض، وما صح من لبسه صلى الله عليه وسلم السواد، ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صفر؛ لأن ذلك كان لمقاصد فرضها خصوص المقام، كما قال بعض الأعلام.**

**وكان للرسول صلى الله عليه وسلم عمامة بيضاء تسمى السحاب، وهي التي كساها عليًّا رضي الله عنه، كما أنه كان يلبس العمامة ويلبس تحتها قلنسوة القلنسوة: غشاء مبطن يستر الرأس. بيضاء، وأحيانًا يلبس العمامة بغير القلنسوة، وأحيانًا أخرى يلبس القلنسوة بغير العمامة. وورد في الجامع الصغير برواية الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان يلبس قلنسوة بيضاء. قال العزيزي: إسناده حسن.**

**قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: وأجود إسناد في القلانس ما رواه أبو الشيخ ابن حبان عن عائشة: كان يلبس القلانس في السفر ذوات الآذان، وفي الحضر المضمرة، يعني الشامية. وفيه ندب العمائم فوق القلانس. فيض القدير 5/ 264.**

**وقال العزيزي: فالمسلمون يلبسون القلنسوة وفوقها العمامة، ولبس القلنسوة وحدها زي المشركين. انتهى. تحفة الأحوذي 5/ 393.**

**وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اعتم أي: لبس العمامة. أرسل عمامته بين كتفيه، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اعتم سدل سدل الثوب أو الشعر أو الستر: أرخاه وأرسله. عمامته بين كتفيه. قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك. قال عبيد الله: ورأيت القاسم بن محمد وسالمًا يفعلان ذلك. رواه الترمذي في الشمائل. وروي عن عمرو بن حريث أنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء، قد أرخى طرفها بين كتفيه. أخرجه مسلم.**

**ولم تكن عمامته صلى الله عليه وسلم كبيرة بحيث يؤذيه حملها، ولا صغيرة لا توفي الرأس حقه من الوقاية والحماية، بل كانت وسطًا بين ذلك، قال ابن القيم: لم تكن عمامته صلى الله عليه وسلم كبيرة يؤذي الرأس حملها، ولا صغيرة تقصر عن وقاية الرأس، بل كانت وسطًا بين ذلك، وخير الأمور الوسط.**

**نعله وخفه صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم نعل، طولها شبر وإصبعان، وعرضها مما يلي الكعبان سبع أصابع، وبطن القدم خمس أصابع، ورأسها محدد، وهذه النعل كان لها قبالان القبال: زمام يوضع بين الإصبع الوسطى والتي تليها، ويسمى شسعًا. شراكهما مثنى؛ أي لكل منهما قبالان، كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه: أن نعلي النبي كان لهما قبالان. رواه البخاري. وفي رواية من حديث عيسى بن طهمان: أخرج إلينا أنس بن مالك رضي الله عنه نعلين لهما قبالان، فقال ثابت البناني: هذه نعل النبي. رواه البخاري.**

**وكان صلى الله عليه وسلم عند التنعل يبدأ باليمين، واضعًا أحد القبالين بين الإبهام والأصبع التي تليها، والقبال الآخر بين الوسطى وما يليها من الأصبع. وإذا أراد نزع نعله، بدأ بالشمال، وأوصى الناس بذلك فقال: "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال". البخاري ومسلم.**

**ولقد كان صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبتية التي ليس فيها شعر. ورؤي مرة وفي قدمه نعلان مخصوفتان؛ أي: مخروزتان مخاطتان. ضُمَّ فيها طاق إلى طاق. فعن أبي العلاء عن أبيه: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليه نعل مخصوفة. رواه ابن حبان في صحيحه، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.**

**وكان للنبي صلى الله عليه وسلم خفان أسودان كان النجاشي قد أهداهما إليه، فعن ابن بريدة عن أبيه أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الألباني: حسن.**

**يقول الحافظ العراقي في صفة نعله:**

**وَنَعْلُهُ الْكَرِيمَةُ الْمَصُونَهْ = طُوبَى لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِينَهْ**

**لَهَا قِبَالانِ بِسَيْرٍ وَهُمَا = سِبْتِيَّتَانِ سَبَتوا شَعْرَهُمَا**

**وَطُولُهَا شِبْرٌ وَإِصْبَعَانِ = وَعَرْضُهَا مِمَّا يَلِي الْكَعْبَانِ**

**سَبْعُ أَصَابِعَ وَبَطْنُ الْقَدَمِ = خَمْسٌ وَفَوقَ ذَا فَسِتٌّ فَاعْلَمِ**

**وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ وَعَرْضُ مَا = بَيْنَ الْقِبَالَيْنِ أُصْبَعَانِ اضْبِطْهُمَا**

**وَهَذِهِ تِمْثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ = وَدُورُهَا أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلِ**

**لباسه صلى الله عليه وسلم:**

**قال العلامة ابن القيم: وكان هديه في لبسه لما يلبسه، أنفع شيء للبدن، فإنه لم يكن يطيل أكمامه ويوسعها، بل كان كم قميصه إلى الرسغ، لا تجاوز اليد، فتشق على لابسها، وتمنعه خفة الحركة والبطش، ولا تقصر عن هذه فتبرز للحر والبرد، وكان ذيل قميصه وإزاره إلى أنصاف الساقين، لم يتجاوز الكعبين، فيؤذي الماشي ويؤوده، ويجعله كالمقيد، ولم يقصر عن عضلة ساقه فتنكشف فيتأذى بالحر والبرد. ولم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي الرأس حملها ويضعفه، ويجعله عرضة للضعف والآفات كما يشاهد من حال أصحابها، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد، بل وسط بين ذلك. زاد المعاد 4/ 217.**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتدي أحسن الثياب وأعدلها وأجملها، في غير مخيلة ولا سرف، فلبس البرود اليمانية البرود: جمع بردة، وهي كساء مخطط يلتحف به. والقميص القميص: لباس يستر البدن كله. وكان أحب الثياب إليه، وكذلك الحبرة؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: وكان أحب الثياب إلى رسول صلى الله عليه وسلم القميص. رواه أبو داود والترمذي، وقال الألباني: صحيح. وعن قتادة قال: قلنا لأنس بن مالك: أي الثياب كان أحب أو أعجب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: الحِبَرة. رواه مسلم. والحِبَرَة: ثياب من كتان أو قطن محبرة، أي: مزينة.**

**يقول المناوي في تعليل حب النبي صلى الله عليه وسلم القميص: كانت نفسه تميل إلى لبسه يعني: القميص. أكثر من غيره من نحو رداء أو إزار؛ لأنه أستر منهما وأيسر لاحتياجهما إلى حل وعقد بخلافه، فهو أحبها إليه لبسًا، والحبرة أحبها إليه رداءً، فلا تدافع بين حديثيهما، أو ذاك أحب المخيط، وذا أحب غيره، ويلوح من ذلك أن لبسه له أكثر. وكان لا يختلج في ذهني خلافه، حتى رأيت الحافظ العراقي قال في حديث إلباس المصطفى صلى الله عليه وسلم قميصه لابن أُبَيٍّ لما مات ما نصه: وفيه لبسه - عليه الصلاة والسلام - للقميص، وإن كان الأغلب من عادته وعادة سائر العرب لبس الإزار والرداء. ولم أقف له على سلف في جزمه بهذه الأغلبية بالنسبة لخصوص المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وفوق كل ذي علم عليم، ولا يلزم من كون ذلك أغلب للعرب كونه أغلب له؛ لأن أحواله وشؤونه كانت منوطة بما يؤمر به، وبما كان دأب آبائه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين فيما لم يوح إليه بشيء، لا بشعار العرب وزيهم، على أن أغلبية لبس الإزار والرداء لا ينافي أغلبية لبس القميص، ولا مانع من لبس الثلاثة غالبًا معًا، فتدبر. فيض القدير 5/ 82.**

**وما كان هذا الحب لذلك النوع من الثياب إلا لكونه أستر للعورة، وأكمل في الزينة. وكان هذا القميص من قطن، وكان قصير الطول، قصير الكمَّين، يصل إلى الرسغ.**

**كما لبس صلى الله عليه وسلم السروال؛ لقول سويد بن قيس: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزًّا البز: الثيابُ أو مَتاعُ البيتِ من الثيابِ ونحوِها. من هجر، هجر: اسم بلد معروف في البحرين. فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى منا رجل سراويل ووزان يزن بالأجر، فقال للوزان: "زن وأرجح". رواه أحمد، وأصحاب السنن.**

**وقد اختلف العلماء في لبس النبي صلى الله عليه وسلم السراويل، فجزم بعضهم بأنه لم يلبسها، واستأنسوا في رأيهم هذا بما جزم به النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات، أثناء ترجمته لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، بأنه لم يلبسها في جاهلية ولا إسلام إلا يوم قتله؛ خشية أن تنكشف عورته أو تُرى. وقد ورد حديث سنده ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى سراويل بأربعة دراهم، قال أبو هريرة: فأردت حملها فمنعني، وقال: "صاحب الشيء أحق بحمله". قلت: يا رسول الله، وإنك لتلبس السراويل؟ قال: "نعم، بالليل والنهار". وإذا صحَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل، فهل اشتراؤه إياها ليلبسها هو أم لغيره؟ ذكر ابن القيم في زاد المعاد أن الظاهر من شرائه إياها أنه كان ليلبسها، وقد ذهب بعض العلماء إلى ما ارتأه ابن القيم، وخالفه آخرون محتجين بجوابه صلى الله عليه وسلم للرجل المحرم، الذي سأله عما يلبس أثناء الإحرام، فنهاه عن لبس السراويل والعمائم والبرانس والخفاف؛ مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلبسها، كما أن بعض الصحابة كانوا يلبسونها، ونهوا عن لبسها عند الإحرام.**

**وإذا كان قد ثبت في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قد اشتراها قبل الهجرة، فإنه لم ينه أحدًا عن لبسها؛ إذ إن بعض أهل المدينة كانوا يلبسونها، إلا أنه نهى عن لبسها في الإحرام.**

**جاء في غذاء الألباب: اختلف العلماء هل لبس السراويل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أم لا؟ قال في الآداب الكبرى: قد رُوِي عن إبراهيم وموسى عليهما السلام أنهما لبساه ولبسه النبي صلى الله عليه وسلم. ورُوِي عن غير واحد من الصحابة كسلمان، وعن عليٍّ أنه أمر به.**

**وذكر الإمام الحافظ ابن الجوزي أن النجاشي كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك؛ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديت لك هدية جامعة؛ قميصًا وسراويل وعطافًا وخفين ساذجين. فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما. قال سليمان بن داود أحد رواة الحديث: قلت للهيثم بن عدي: ما العطاف؟ قال: الطيلسان. تحفة الأحوذي 8/ 87.**

**وأخرج الترمذي عن سويد بن قيس قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزًّا من هجر، فجاءنا النبي صلى الله عليه وسلم فساومنا بسراويل، وعندي وزَّان يزن بالأجر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للوزان: "زِنْ وأرجح".**

**وقال أبو هريرة: دخلت يومًا السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس إلى البزازين، فاشترى سراويل بأربعة دراهم.. الحديث، وفيه: قلت: يا رسول الله، وإنك لتلبس السراويل؟ قال: "نعم، وبالليل والنهار، وفي السفر والحضر؛ فإني أُمرت بالتستر، فلم أجد شيئًا أستر منه". رواه الطبراني في المعجم الأوسط.**

**قال صاحب غذاء الألباب: قال في الهدي: اشترى صلى الله عليه وسلم السراويل، والظاهر إنما اشتراه ليلبسه.**

**ثم قال: ورُوِي في حديث أنه لبس السراويل، وكانوا يلبسونه في زمانه وبإذنه.**

**قلت: وميل الإمام المحقق في الهدي إلى أنه صلى الله عليه وسلم لبسها، وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال جماعة من العلماء: لم يلبسها عليه الصلاة والسلام، ولا يلزم من شرائه لها لبسها. وقاله المناوي في شرح الجامع الصغير، والله أعلم. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب 1/ 201.**

**ولبس النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا الرداء الرداء: هو ما يُلبس فوق الثياب؛ كالجُبَّة والعباءة، وهو الثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار. والإزار؛ الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن. لقول أبي بردة: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزارًا غليظًا، فقالت: قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين. رواه البخاري. وورد في لفظ مسلم عن أبي بردة: دخلت على عائشة، فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن، وكساء من التي يسمونها الملبدة. قال: فأقسمت بالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض في هذين الثوبين.**

**كما لبس النبي صلى الله عليه وسلم الجبة الجبة: ثوب سابغ، واسع الكمين، مشقوق المقدم، يلبس فوق الثياب. والقباء، القباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص، ويتمنطق عليه؛ أي يشد وسطه. ولبس العمامة، وأرخى الذؤابة، الذؤابة: طرف العمامة المتدلي. ولبس النعل والخف، الخف: ما يلبس في القدم من جلد رقيق. فقد كان له خفان أسودان غير منقوشين قد أهداهما إليه النجاشي، فقد رُوِي عن ابن بريدة عن أبيه أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما. رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال الألباني: حسن. ولبس الخميصة الخميصة: كساء أسود مربع. المعلمة والساذجة أي: غير المنقوشة، فعن عروة عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى في خميصة لها أعلام، وقال: "شغلتني أعلام هذه، فاذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانية". متفق عليه. ولبس ثوبًا أسود، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس، الفروة التي في أطرافها ديباج رقيق. ولبس المِرْط، وهو كساء من خزٍّ أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر. وقيل: هو كساء يؤتزر به. وقيل: كساء صوف ومربع سداه شعر، فعن عائشة قالت: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل الموشَّى بمثل صور الرجال. من شعر أسود. رواه مسلم.**

**كما لبس أيضًا حلة حمراء، فعن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر بلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أرَ شيئًا قط أحسن منه. متفق عليه. وفي رواية: ما رأيت أجمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مترجِّلاً في حلة حمراء. رواه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح. وفي رواية لأبي داود عن أبي جحيفة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهو في قبة حمراء من أدم، فخرج بلال فأذن، فكنت أتتبع فمه ههنا وههنا. قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء برود يمانية قطري.**

**والحلة لا تطلق إلا اسمًا للثوبين معًا؛ الإزار والرداء، وقد كانت هذه الحلة الحمراء - كما يقول ابن القيم عبارة عن: بردين يمانيين، منسوجين بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر. زاد المعاد، 1/ 130.**

**ولبس صلى الله عليه وسلم ثوبين مصبوغين بالزعفران، كما يتبين من رواية الحاكم عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران؛ رداء وعمامة. رواه الحاكم في المستدرك.**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان صلى الله عليه وسلم يلبس القميص والعمامة، ويلبس الإزار والرداء، ويلبس الجبة والفروج أو الفرجية، الفروج: ثوب واسع طويل الكمين يتزيى به علماء الدين. وكان يلبس من القطن والصوف وغير ذلك، لبس في السفر جبة صوف، وكان يلبس مما يجلب من اليمن وغيرها، وغالب ذلك مصنوع من القطن، وكانوا يلبسون من قباطي مصر، وهي منسوجة من الكتان. فسنته في ذلك تقتضي أن يلبس الرجل ويطعم مما يسره الله ببلده من الطعام واللباس؛ وهذا يتنوع بتنوع الأمصار. مجموع الفتاوى، 22/ 311.**

**ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ثياب خاصة أو أنواع معينة من الثياب، بل إنه صلى الله عليه وسلم لبس أنواعًا متعددة وكثيرة من الثياب، من الكتان تارة، ومن الصوف تارة، ومن القطن تارة، فيلبس ما يجده أمامه، وما تيسر له. وإذا أتاه وفد، ارتدى له أحسن الثياب وأجمل الحلل، وأمر أصحابه أن يقتدوا به، فعن أبي سعيد الخدري: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوبًا سماه باسمه - عمامة أو قميصًا أو رداءً - ثم يقول: "اللهم لك الحمد كما كسوتنيه، أسألك خير ما صنع له، وأعوذ من شره وشر ما صنع له". رواه الترمذي في الشمائل، وأبو داود.**

**يقول ابن القيم في زاد المعاد في صفة قميصه صلى الله عليه وسلم: وكان كمه إلى الرسغ، ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء والفرجية، ولبس القباء أيضًا، ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين، ولبس الإزار والرداء. قال الواقدي: كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر، وإزاره من نسج عمان، طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر.**

**وكان صلى الله عليه وسلم يحب من الثياب ما كان لونه أبيض، وقال في ذلك: "البسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم". رواه أبو داود والترمذي. وعلة ذلك أن هذا اللون من أحسن الألوان وأفضلها؛ لأنه أمارة الصفاء، ودليل النقاء، كما أنه مبهج للنفس، وأجلى للبصر، كما أنه كان لباس الملائكة المقاتلين مع المسلمين يوم أحد.**

**ولم يتسخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب، فلم يكن الوسخ يصيب ثوبه؛ من تراب أو غبار أو عرق أو رائحة كريهة، فكيف يتسخ ثوب اشتمل على أطهر بدن وأشرف جسد؟! كما أن الذباب لم يكن يمس ثيابه أو يقع عليها.**

**آلات بيته صلى الله عليه وسلم:**

**كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خُمرة يصلي عليها، وكانت كالحصير الصغير من سعف النخل، مضفر بالسيور ونحوها، بقدر الكف والوجهين، وهي أصغر من أن يصلي عليها. وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها، ولأنها تستر الوجه والكفين من برد الأرض وحرها، فإن كبرت عن ذلك فهي حصير، فعن ميمونة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا حذاءه = قالت: وكان يصلي على الخمرة. رواه البخاري. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ناوليني الخُمرة من المسجد". رواه مسلم. وعن جابر رضي الله عنه قال: حدثنا أبو سعيد الخدري أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلي على حصير يسجد عليه. رواه مسلم.**

**كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم كرسي يجلس عليه، كان من خشب أسود، فعن أبي رفاعة قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه. فأقبل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدًا، فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها. رواه مسلم. وزاد البخاري في الأدب المفرد لفظ: قال حميد: أراه خشبًا أسود حسبه حديدًا.**

**قال ابن الجوزي: ولولا ما ذكرناه عن حميد، لكان الأليق أن يكون من ليف قوائمه من حرير.**

**وذكر المبرد في الكامل أنه كان لعمر رضي الله عنه كرسي يجلس عليه، وذكر النسائي أنه كان لعلي رضي الله عنه كرسي يجلس عليه. انظر: سنن النسائي، ومسند الإمام أحمد، وإمتاع الأسماع 7/ 128.**

**كما كان له قبة حمراء من أدم، فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي صلى الله عليه وسلم والناس يبتدرون الوضوء، فمَن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه. متفق عليه.**

**وعن أنس رضي الله عنه قال: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار وجمعهم في قبة من أدم. رواه البخاري. وكان له حصير يصلي عليه بالليل، ويبسطه بالنهار للجلوس عليه، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجر حصيرًا بالليل فيصلي، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون بصلاته حتى كثروا، فأقبل فقال: "يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ". رواه البخاري.**

**خيله صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الخيل ويرتبطها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن شيء أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل. رواه النسائي. فكان له صلى الله عليه وسلم عدة أفراس قادها في غزواته، ولقد وقع الخلاف في الخيول التي ارتبطها النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن العلماء أجمعوا على أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم سبعة أفراس، ويروى أنه كان له عشرة أفراس، وقع الخلاف في بعضها، وقيل: كانت له أفراس أُخر خمسة عشر، ولكن مختلف فيها.**

**أما الأفراس المجمع عليها، فهي: المرتجز واللُّحَيْف واللزاز والظَّرب والسَّكْب وسَبْحة والورد، وهذه السبعة المتفق عليها جمعها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن جماعة الشافعي في بيت فقال:**

**وَالْخَيْلُ: سَكْبٌ لُحَيْفٌ سَبْحَةٌ = ظَرِبٌ لِزَازٌ مُرْتَجزٌ لَهَا أَسْرَارُ**

**كما جمع الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري، من أسماء خيله صلى الله عليه وسلم في أبيات من قصيدة يمدحه بها فقال:**

**لم يزل في حربه ذا = وثبات وثبات**

**كلفًا بالطعن والضر = ب وحب الصافنات**

**من لزاز ولحيف = ومن السكب المُوات**

**ومن المرتجز السا = بق سبق الذاريات**

**ومن الورد ومن سب = حةٍ قيد العاديات**

**الوافي بالوفيات، 1/ 90.**

**فأما المرتجز، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يدعى المرتجز. رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.**

**وهذا الفرس كان أشهب، وهو الذي شهد فيه خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين، ولقد سمي هذا الفرس بهذا الاسم؛ لأنه كان له صهيل حسن كأنه ينشد رجزًا. وقيل: هو الطِّرف. وقيل: هو النجيب. والطرف والنجيب: الكريم من الخيل. وكان الأعرابي الذي اشتراه منه النبي صلى الله عليه وسلم من بني مرة. راجع: زاد المعاد 1/ 133، وطبقات ابن سعد 1/ 490، والوافي 1/ 90، وعيون الأثر 2/ 320، 321.**

**وعن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه - وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسًا من أعرابي، فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلا بعته. فقام النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع نداء الأعرابي فقال: "أو ليس قد ابتعته منك؟". فقال الأعرابي: لا والله ما بعتكه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بلى، قد ابتعته منك". فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا. فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال: "بم تشهد؟". فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين. رواه أبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ورجاله باتفاق الشيخين ثقات ولم يخرجاه.**

**قال المنذري: وهذا الأعرابي هو ابن الحارث. وقيل: سواء بن قيس المحاربي. ذكره غير واحد في الصحابة. وقيل: إنه جحد البيع بأمر بعض المنافقين. وقيل: إن هذا الفرس هو المرتجز المذكور في أفراس رسول الله صلى الله عليه وسلم. عون المعبود، 8/ 104.**

**قال الحافظ السندي: والمشهور أنه رد الفرس بعد ذلك على الأعرابي، فمات من ليلته عنده، والله تعالى أعلم. حاشية السندي على النسائي، 7/ 302.**

**وأما اللحيف، فعن أُبَيِّ بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم في حائطنا الحائط: البستان من النخل إذا كان له جدار. فرس يقال له اللحيف. اللحيف: طويل الذنب. قال أبو عبد الله: وقال بعضهم: اللخيف. رواه البخاري.**

**وهذا الفرس أهداه له فروة بن عمرو من أرض البلقاء، وقيل: ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض من نِعم بني كلاب. واللحيف: فعيل بمعنى فاعل، كأنه يلحف الأرض بذَنَبِه لطوله؛ أي يغطيها. وقيل فيه: بضم اللام وفتح الحاء على التصغير. والأكثر أنه الَّلخيف.**

**وقال الواقدي: سمي اللحيف؛ لأنه كان يلتحف بعرْفِه. ويقال: شبه بلحيف الجبل وصُغِّر. راجع: زاد المعاد 1/ 133، والطبقات الكبرى 1/ 490، والوافي 1/ 90، وعيون الأثر 1/ 321، وإمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع 7/ 197.**

**وأما اللِّزاز، فقد أهداه له المقوقس. ولزاز من قولهم: لازته؛ أي: لاصقته، كأنه يلتصق بالمطلوب لسرعته. وقيل: لاجتماع خلقه. والملزز: المجتمع الخلق. وقيل: لشدة دموجه. وقال الواقدي: وسمي لزازًا؛ لأنه كان ملززًا موثقًا. انظر المراجع السابقة.**

**وأما الظَّرِب، فقد أهداه له فروة بن عمير الجذامي. والظرب: واحد الظِّراب، وهي الروابي الصغار، سمي به؛ لكبره وسمنه. وقيل: لقوته، وصلابة حافره. انظر المراجع السابقة.**

**وأما السكب، فقد كان اسمه قبل أن يشتريه الضرس، اشتراه بعشرة أواقٍ أول ما غزا عليه أُحدًا، ليس للمسلمين غيره. وفرس أبى بردة بن نيار ويسمى ملاوح. وكان أغر، طلق اليمين، محجلاً، كُمَيْتًا، وكان دفتًا، سرجه من ليف. وقيل: كان أدهم. روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه، وشبه بفيض الماء وانسكابه. انظر: إمتاع الأسماع 7/ 198.**

**وأما سبحة، فقد رُوِي أن أنس بن مالك رضي الله عنه سُئل: أكنتم تراهنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن؟ قال: نعم، والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة، فسبق الناس، فهش لذلك وأعجبه. أخرجه أحمد والدارمي، وقال الهيثمي في المجمع: ورجال أحمد ثقات.**

**وهذه الفرس كانت شقراء، ابتاعها صلى الله عليه وسلم من أعرابي من جهينة بعشر من الإبل، وسابق عليها يوم خميس، فأقبلت في وجوه الخيل، فسميت سبحة من قولهم: فرس سابح، إذا كان حسن مد اليدين في الجري، وسبح الفرس جريه. انظر: إمتاع الأسماع 7/ 198.**

**أما الفرس السابع؛ الورد، فقد أهداه له تميم الداري، فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمل عليه في سبيل الله، ثم وجده يباع برخص، فقال له: لا تشتره. والورد: لون بين الكميت والأشقر. انظر: عيون الأثر 2/ 409.**

**ويُروَى أن الورد كانت لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.**

**قال ابن سيد الناس: قال شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي رحمه الله: فهذه سبعة متفق عليها؛ وهي: السكب والمرتجز واللحيف ولزاز والظرب والورد وسبحة. وكان الذى يمتطى عليه ويركب السكب.**

**وقيل: كانت له أفراس أُخَر غيرها؛ وهي: الأبلق، وحمل صلى الله عليه وسلم عليه بعض أصحابه، وذو العقال، وذو اللمة اللمة: بين الوفرة والجمة، فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهي وفرة، فإذا زادت حتى ألمت بالمنكبين فهي لمة، فإذا زادت فهي جمة. وكانت فرس عكاشة بن محصن، والمرتجل، الارتجال: خلط الفرس العنق بالهملجة، وهما ضربان من السير. والمرواح، المرواح: من الريح لسرعته. والسرحان، السرحان: الذئب. واليعسوب، اليعسوب: طائر، وهو أيضًا أمير النحل. والسيد يعسوب قومه، واليعسوب غرة تستطيل في وجه الفرس. واليعبوب، اليعبوب: الفرس الجواد. وجوادٌ يعبوبٌ: شديد الجري. والبحر؛ وهو كميت، والأدهم، والشحاء، الشحاء: من قولهم: فرس بعيد الشحوة، أي؛ بعيد الخطوة. والسجل، وملاوح، الملاوح: هو الضامر الذي لا يسمن، والسريع العطش، والعظيم الألواح. والطرف، والنجيب. هذه خمسة عشر مختلف فيها.**

**وذكر السهيلي في خيله صلى الله عليه وسلم: الضريس. وذكر ابن عساكر فيها: مندوبًا، وذا العُقال - بضم العين - وبعضهم يشدد قافه وبعضهم يخففها، وهو ظلع في قوائم الدواب. عيون الأثر 2/ 410.**

**وكان له صلى الله عليه وسلم فرس يقال له: البحر. اشتراه من تجار قدموا من اليمن، فسبق عليه مرات، فجثا على ركبتيه، ومسح وجهه، وقال: "ما أنت إلا بحرًا". فسمي بحرًا، وكان كميتًا، وقيل: هو الأدهم. انظر: إمتاع الأسماع 7/ 199.**

**قال الأصمعي: يقال للفرس بحرًا إذا كان واسع الجري، أو لأن جريه لا ينفد كما لا ينفد البحر، ويؤيده ما في رواية سعيد عن قتادة: وكان بعد ذلك لا يجارى.**

**وكان له صلى الله عليه وسلم أيضًا فرس يقال له المندوب، المندوب: من ندبه فانتدب؛ أي دعاه فأجاب. وهو فرس أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسًا لنا من أبي طلحة يقال له المندوب، فركب، فلما رجع قال: "ما رأينا من فزع، وإن وجدناه لبحرًا". متفق عليه.**

**يقول الحافظ العراقي في ذكر أفراسه عليه الصلاة والسلام:**

**سَكْبٌ لِزَازٌ ظَرِبٌ وَسَبْحَهْ = مُرتَجزٌ وَردٌ لَحِيفٌ سَبْعَهْ**

**وَلَيْسَ فِيها عِنْدَهمْ مِنْ خُلْفِ = والخُلْفُ فِي مَلاوحٍ وَالطُّرْفِ**

**كَذاكَ ضِرسٌ وشَحَا مَنْدُوبُ = مِرْوَاحُ بَحْرٌ أدْهَمٌ نَجِيبُ**

**أَبْلَقُ مَعْ مُرْتَجِلٍ مَعْ يَعْسُوبْ = سَرْحَانَ وَالعُقَالِ سِجلِ يَعْبُوبْ**

**دوابه صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها دلدل، أهداها له المقوقس، وعاشت إلى زمن معاوية. وكانت بعد النبي صلى الله عليه وسلم عند عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فشهد عليها يوم النهروان، وقاتل عليها الخوارج. ثم كانت بعده عند عبد الله بن جعفر، فكان يجش أو يدق لها الشعير، وقد ذهبت أسنانها. كما كان له بغلة تسمَّى فضة، أهداها له فروة الجذامي. كما كان له حمار يركبه يقال له: عفير.**

**أما ناقته، فكانت تسمى القصواء، وهي التي هاجر عليها، كما كان له ناقتان أخريان تسميان العضباء والجدعاء، وكانت ناقته العضباء لا تُسْبَق، حتى جاء أعرابي على قعود القعود: القوي والفتي من الإبل إلى أن يصير في السنة السادسة. له فسبقها.**

**عن عمرو بن الحارث أخي جويرية قال: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة. رواه البخاري.**

**وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رِدْفَ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم على حمار له، يقال له عُفَير. رواه مسلم. وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: "إن حقًّا على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه". رواه البخاري.**

**وعن حميد قال: سمعت أنسًا رضي الله عنه يقول: كانت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها العضباء. رواه البخاري. والعضباء لقب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي بمعنى القصواء، من العضب وهو القطع.**

**وقد ذكر ابن القيم دواب النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلاً في زاد المعاد فقال: وكان له من البغال دلدل، وكانت شهباء، أهداها له المقوقس، وبغلة أخرى يقال لها فضة، أهداها له فروة الجذامي، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة، وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل، وقد قيل: إن النجاشي أهدى له بغلة، فكان يركبها. ومن الحمير عفير، وكان أشهب، أهداه له المقوقس ملك القبط، وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي، وذُكرَ أن سعد بن عبادة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم حمارًا فركبه. ومن الإبل القصواء، قيل: وهي التي هاجر عليها. والعضباء والجدعاء، ولم يكن بهما عضب ولا جدع، وإنما سميتا بذلك، وقيل: كان بأذنها عضب فسميت به. وهل العضباء والجدعاء واحدة أو اثنتان؟ فيه خلاف. والعضباء هي التي كانت لا تُسبق، ثم جاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن حقًّا على الله ألا يرفع من الدنيا شيئًا إلا وضعه". وغنم صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملاً مهريًّا لأبي جهل، في أنفه برة من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين. وكانت له خمس وأربعون لقحة، وكانت له مهرية أرسل بها إليه سعد بن عبادة من نعم بني عقيل. وكانت له مائة شاة، وكان لا يريد أن تزيد، كلما أولد له الراعي بهمة ذبح مكانها شاة، وكانت له سبع أعنز منائح ترعاها أم أيمن. زاد المعاد، 1/ 128.**

**أسلحته صلى الله عليه وسلم:**

**كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة، ومن الدروع سبعة، ومن القسي خمسة، ومن الأتراس ثلاثة، ومن الرماح خمسة، ومن الحراب خمسة، ومن الخوذ اثنتان.**

**أسيافه صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف، سيف نفله يوم بدر يسمى ذو الفقار، وثلاثة أسياف غنمها من سلاح بني قينقاع؛ هي: سيف قلعي، وسيف يدعى الحتف، وسيف يدعى البتار، وسيفان أصابهما من الفلس؛ سيف يدعى الرسوب، وآخر يدعى المخْذَم، والسيف السابع يقال له العضب، أعطاه إياه سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه، والسيف الثامن ورثه عن أبيه، ويسمى المأثور، والتاسع يدعى القضيب، وهو أول سيف تقلد به رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**ولقد كان نعل سيف نعل السيف: أسفله. النبي صلى الله عليه وسلم فضة، وقبيعته القبيعة: ما على طرف مقبض السيف يعتمد الكف عليها لئلا يزلق. من فضة، وحلقته فضة، كما قال أنس رضي الله عنه: كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة، وقبيعته فضة، وما بين ذلك حلق الفضة. رواه النسائي. وعنه رضي الله عنه قال: كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة. رواه الترمذي.**

**وفي رواية عن عامر قال: أخرج إلينا عليُّ بن الحسين سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قبيعته من فضة، وحلقته من فضة. وعن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلقته وقبيعته من فضة.**

**سيوف النبي صلى الله عليه وسلم وأسماؤها وصفاتها:**

**1- السيف المأثور: وهو أول سيف ملكه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ورثه من أبيه‏. وهذا السيف مكتوب على نصله: عبد الله بن المطلب. ويبلغ طول هذا السيف مع الجراب 99 سم، ويبلغ طول النصل 81 سم، أما المقبض فطوله 14 سم، والعرض عنده 4 سم، وعند الذؤابة 3.5 سم.**

**2- السيف القضيب: وهو أول سيف تقلده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سيف دقيق ذو حدين، له ذؤابة مدببة، ويبلغ طول هذا السيف 100 سم، ويبلغ طول النصل 86 سم، أما المقبض فطوله 14 سم، والعرض عنده 2.8 سم، وعند الذؤابة 2.2 سم.**

**3- السيف العضْب: وقد أهداه إليه سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه في معركة أحد، وقاتل به الصحابي الجليل أبو دجانة، وهذا السيف محفوظ بالقاهرة.**

**4- السيف ذو الفِقار: وقد غنمه النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، حيث كان قَبْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنبه بن الحجاج السهمي، ونفله النبي صلى الله عليه وسلم إلى سيدنا عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان هذا السيف لا يفارقه، وقد دخل به مكة يوم الفتح. وهو الذي رأى فيه الرؤيا في غزوة أحد، وكانت قائمة هذا السيف وقبيعتُه وحلقتُه وذؤابته وبكراتُه ونعلُه مِنْ فضة‏.‏ ويبلغ طوله مع المقبض 104 سم، وطول النصل 89 سم، أما المقبض فطوله 15 سم، والعرض عنده 6 سم، وعند الذؤابة 4.5 سم.**

**5- السيف قُلَعى: ويتميز هذا السيف عن غيره من السيوف بتركيبة نصله، وقد كتب على هذا السيف: هذا السيف المشرفي، بيت محمد النبي، رسول الله. ويبلغ طول السيف مع المقبض 114 سم، وطول النصل 91 سم، أما المقبض فطوله 13 سم، والعرض عنده 5.5 سم، وعند الذؤابة 4.5 سم.**

**6- السيف الحَتْف: وهذا السيف من أثقل السيوف وزنًا، وأشدها وطأة في القتال، وقد غنمه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني قينقاع، ثم آل إلى سيدنا عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ويبلغ طول السيف مع المقبض 113 سم، وطول النصل 98 سم، أما المقبض فطوله 15 سم، والعرض عنده 8 سم، وعند الذؤابة 6 سم.**

**7- السيف الرسوب: وهذا السيف أصابه من الفلس، وهو من أطول الأسياف طرًّا، ويبلغ طوله 140سم، وهو منسوب إلى سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه.**

**8- السيف البتار: وهذا السيف مكتوب على نصله كلمة: "القصاص". ثم كلمتي "سيف العدالة". ويظهر على جانب هذا السيف رسم آدمي يمثل سيدنا داود عليه السلام وهو يقطع رأس عدوه جالوت، وفوق الرسم نقش بكلمات بالكتابة النبطية.**

**9- المِخْذَم، وهذا السيف أصابه من الفلس.**

**درعه صلى الله عليه وسلم:**

**كان النبي صلى الله عليه وسلم على دراية بأمور الحرب والقتال، يعد للحرب عدتها، ويخرج للقتال بكامل سلاحه، فكان يتقلد درعين الدرع: الزَّرَدِيَّة، وهي قميص من حلقات من الحديد متشابكة، يُلْبَس وقايةً من السلاح. في كل غزوة يغزوها، ولا يعارض هذا توكله صلى الله عليه وسلم وعصمة الله تعالى إياه؛ لأنه يعلمنا أن التوكل ينبغي أن يكون مقرونًا بالتحصن، والتحلي بالحيطة والحذر.**

**عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم أحد، فنهض أي: قام متوجهًا. إلى الصخرة أي: التي كانت هناك يستوي عليها، وينظر إلى الكفار، ويشرف على الأبرار. فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته أي: أجلسه. فصار طلحة كالسلم، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم عليه أي: وضع رجله فوقه وارتفع. حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أوجب طلحة". رواه الترمذي في الشمائل، والحاكم في المستدرك، وحسنه الألباني. فقوله: كان عليه درعان يوم أحد. مبالغة في تنفيذ قوله تعالى: "خذوا حذركم" [النساء: 71]. وقوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" [الأنفال: 60]. فإنها تشمل الدرع، وإن فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأقوى أفرادها؛ حيث قال: "ألا إن القوة الرمي". رواه مسلم. قال القاري: وفيه إشارة إلى جواز المبالغة في أسباب المجاهدة، وأنه لا ينافي التوكل والتسليم بالأمور الواقعة المقدرة. تحفة الأحوذي 5/ 278.**

**وقوله صلى الله عليه وسلم: "أوجب طلحة". أي: فعل فعلاً يوجب له بسببه الجنة، وهو إعانته النبي صلى الله عليه وسلم ومساعدته إياه على الارتفاع على الصخرة، الذي ترتب عليه توحيد صف المسلمين، ولَمُّ شملهم، وإدخال الفرح في قلوبهم، بعد أن علموا أن الرسول حيٌّ. ويحتمل أن ذلك الفعل هو جعله نفسه فداء له صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم، حتى أصيب ببضع وثمانين طعنة، وشلت يده في دفع الأعداء عنه.**

**أما عدد أدرعه صلى الله عليه وسلم، فورد في روايات أخرى أنه كان له سبعة أدرع. وقد آلت درع منها إلى يهودي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتهنها على شعير لأهله، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهي ما زالت محبوسة عند هذا اليهودي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير. رواه البخاري.**

**يقول ابن القيم: وكان له سبعة أدرع‏: ‏ ذات الفضول‏: ‏ وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لعياله، وكان ثلاثين صاعًا، وكان الدَّيْن إلى سنة، وكانت الدِّرعُ مِن حديد‏.‏ وذات الوِشاح، وذات الحواشي، والسعدية، وفضة، وهاتان أصابهما من سلاح بني قينقاع، والبتراء، والخِرْنق. زاد المعاد، 1/ 126.**

**ويقال: كانت عنده درع داود عليه السلام التي لبسها لما قتل جالوت.**

**قوسه وكنانته صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم ستُّ قِسيٍّ‏: الرَّوحاء، والبيضاء، وهما قوسان من شوحط، وهو من شجر الجبال، يتخذ منه القسي، وهو من سلاح بني قينقاع. والزوراء، والصفراء، من نبع، وهو شجر يُتخذ منه القسي، ومن أغصانه السهام، وهذه القوس كُسرت يوم أحد. والسَّداد‏، والكَتوم، ويقال لها ذلك لانخفاض صوتها إذا رمي عنها، وقيل: هي التي كُسِرَتْ يوم أحد، فأخذها قتادة بن النعمان. أما كنانته، وهي الجعبة التي كانت تحفظ السهام، فقد كان له جعبة تدعى الكافور. انظر: زاد المعاد 1/ 126.**

**رمحه وترسه صلى الله عليه وسلم:**

**يقول ابن القيم عن رماح النبي صلى الله عليه وسلم: وكانت له خمسة أرماح يقال لأحدهم: المثوي، والآخر: المثني. وحربة يقال لها: النبعة، وأخرى كبيرة تدعى: البيضاء، وأخرى صغيرة شبه العكاز يقال لها: العنزة يمشي بها بين يديه في الأعياد، ويحملها بلال بن رباح رضي الله عنه تُركز أمامه، فيتخذها سترة يصلي إليها، وكان يمشي بها أحيانًا وهي في يده. زاد المعاد، 1/ 126. وقيل: جاء بها الزبير رضي الله عنه من أرض الحبشة كهدية من النجاشي، وكان قد قاتل بها عدوًّا للنجاشي، فظهر عليه، وقد شهد بها الزبير غزوة بدر وأحد وخيبر، ثم أخذها النبي صلى الله عليه وسلم منه بعد عودته من خيبر. وقد غنم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رماح منها في غزوة بني قينقاع.**

**أما ترسه صلى الله عليه وسلم، فقد كان له ترس يقال له‏: ‏ الزلوق؛ لأن السلاح يزلق عنها. وترس يقال له‏: ‏ الفتَق‏.‏**

**خوذته صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم مِغْفَر المغفر: خوذة أو غطاء ينسج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة. من حديد يقال له‏: ‏ الموشَّح، وشح بِشَبَهٍ الشبه: النحاس الأصفر، والجمع: أشباه.. وَمِغفَر آخر يقال له‏: ‏ السبوغ، أو‏: ‏ ذو السبوغ‏.‏ انظر: زاد المعاد، 1/ 126.**

**جبته صلى الله عليه وسلم:**

**كان للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جِباب يلبسها في الحرب‏.‏ قيل فيها‏: ‏ جبة سندسٍ أخضر، والمعروف أن عروة بن الزبير كان له يَلْمَق اليَلْمَقُ: القباء، فارسي معرب، قال ذو الرمة يصف الثور الوحشي:**

**تَجْلُو البَوارِقُ عن مُجْرَنْثَمٍ لَهِقٍ كَأَنَّهُ مُتَقَبِّي يَلْمَقٍ عَزَبُ**

**وجمعه: يَلامق. قال عمارة: كأَنما يمشين في اليَلامِقِ. انظر: لسان العرب لابن منظور. من ديباج، بطانته سندس أخضر، يلبسه في الحرب، والإِمام أحمد في إحدى روايتيه يُجَوِّزُ لبس الحرير في الحرب‏. انظر: زاد المعاد 1/ 126.**

**لوائه صلى الله عليه وسلم:**

**اللواء أو الراية سمة من سمات الحروب، فهما دليلا النصر إن رُفعا، وأمارة الهزيمة إن خُفضا أو نُكِّسا، وبهما يُعلم محل القائد والأمير. واللواء - كما يقول ابن العربي - غير الراية؛ لأن اللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه، أما الراية فهي ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح.**

**وقال الحافظ في الفتح: قيل: اللواء دون الراية. وقيل: اللواء العلم الضخم. والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار، والراية يتولاها صاحب الحرب. وجنح الترمذي إلى التفرقة، فترجم بالألوية، وأورد حديث جابر رضي الله عنه: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض". ثم ترجم للرايات، وأورد حديث البراء رضي الله عنه: "إن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمرة". وحديث ابن عباس رضي الله عنه: "كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضًا، ومثله لابن عدي من حديث أبي هريرة، ولأبي يعلى من حديث بريدة، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم: "رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء". ويجمع بينها باختلاف الأوقات، وروى أبو يعلى عن أنس رفعه: "إن الله أكرم أمتي بالألوية". إسناده ضعيف. ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس: "كان مكتوبًا على رايته: لا إله إلا الله محمد رسول الله". وسنده واهٍ. وقيل: كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة، وراية تسمى الراية البيضاء، وربما جعل فيها شيئًا أسود. فتح الباري، 9/ 160.**

**القائمون على سلاحه صلى الله عليه وسلم:**

**يقول المقريزي في إمتاع الأسماع: اعلم أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة يقفون على رأسه بالسلاح، منهم: المغيرة بن شعبة، والضحاك بن سفيان، والنعمان بن مقرن، وعباد بن بشير رضي الله عنهم.**

**أما المغيرة، فقد خرَّج البخاري من حديث الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهم - يصدق كل واحد منهم حديث صاحبه - قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية = فذكر الحديث حتى ذكر قدوم عروة (بن مسعود)، إلى أن قال: وجعل يكلم النبي، فكلما تكلم أخذ بلحيته.. وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية الرسول، ضرب يده بنعل السيف، وقال: "أخِّر يدك عن لحية رسول الله". وذكر الحديث بطوله. رواه البخاري.**

**وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: حدثنا أبو عمار قال: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شعبة: أنه كان قائمًا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، وهو ملثم، وعنده عروة، قال: فجعل عروة يتناول لحية النبي صلى الله عليه وسلم ويحدثه، قال: فقال المغيرة لعروة: لتكفن يدك عن لحيته، أو لا ترجع إليك. قال: فقال عروة: من هذا؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال عروة: يا غدر، غدر: كلمة معدولة عن غادر، وهي للمبالغة في الغدر، والمراد منها السب. ما غسلت رأسك من غدرتك بعد.**

**أما الضحاك بن سفيان، فقال أبو عمر ابن عبد البر: وكان الضحاك بن سفيان الكلابي أحد الأبطال، وكان يقوم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحًا سيفه، وكان يعد بمائة فارس وحده. وله خبر عجيب مع بني سليم، ذكره أهل الأخبار:**

**روى الزبير بن بكار قال: حدثتني ظمياء بنت عبد العزيز بن موألة بن كثيف بن جحل بن خالد الكلابي قالت: حدثني أبي عن جدي موألة بن كثيف قال: حدثني أبي عن جدي موألة بن كثيف بن جمل بن خالد الكلابي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان سياف رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائمًا على رأسه، متوشحًا بسيفه، وكانت بنو سليم في تسعمائة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفا". فوافاهم بالضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، فقال عباس بن مرداس المعنى المذكور في الخبر شعرًا. (الطويل).**

**نذود أخانا عن أخينا ولو ترى = مهرًا لكنا الأقربين نتابع**

**نبايع بين الأخشبين وإنما = يد الله بين الأخشبين تدافع**

**عشية ضحاك بن سفيان معتص = بسيف رسول الله والسيف كانع الاستيعاب 2/ 743. وهذه الأبيات من شعر عباس بن مرادس، وهي قصيدة قوامها 16 بيتًا، انظر: سيرة ابن هشام، 5/ 122، 123.**

**وأما النعمان بن مقرن، فعن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عمر: أشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قلت: فما كان عليه؟ قال: قميص من قطن، وجبة محشوة، ورداء، وسيف، ورأيت النعمان بن مقرن المزني، قائمًا على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه، والناس يبايعونه، وعباد بن بشر قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مقنع في الحديد، لما جاء عيينة بن محصن في الخندق، ومعه الحارث بن عوف في عشرة من قومهما؛ ليقع الصلح معهما، حتى يرجعا بمن معهما. مغازي الواقدي، 2/ 477.**

**وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكر الدارقطني في "العلل" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر، قام عمر رضي الله عنه على رأسه بالسيف حتى يصلي.**

**وكان الحارث بن الصمة يحمل حربة الرسول صلى الله عليه وسلم ويسير بها بين يديه.**

**قال ابن إسحاق: في يوم أحد لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب، أدركه أُبي بن خلف وهو يقول: أي محمد، لا نجوت إن نجوت. فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوه". فلما دنا، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة. يقول بعض القوم فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها - قال ابن هشام: الشعراء ذباب له لدغ - ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارًا. سيرة ابن هشام، 4/ 33.**

**وكان مرزوق الصيقل مولى الأنصار صقل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار. انظر: إمتاع الأسماع، 7/ 177 - 189. باختصار.**

**هل النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور؟**

**النبي صلى الله عليه وسلم بشر، يتفق في تكوينه البشري مع سائر البشر، ولا يختلف في بنيانه عنهم، فهو من دم ولحم وعظم وما خالطهم، انحدر من أب وأم كسائر البشر، وتمضي عليه سنن الله فيهم، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويشبع حاجاته الغريزية كما يشبعون، وبشريته ثابتة بالكتاب والسنة، يقول الله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي" [الكهف: 110]، فالآية تقرر بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن في الوقت نفسه لا تساويه بالبشر؛ لأنه معصوم من الله سبحانه وتعالى، والشواهد والدلائل التي تثبت ذلك كثيرة ومبثوثة في كتب السنة والدلائل. وإذا أمعنا النظر في الآية، نجدها تقرن بين بشريته صلى الله عليه وسلم وإيحاء الله له، فقوله تعالى: "بشر مثلكم". إثبات للبشرية والمثلية في الجنس والصورة والهيئة، وقوله: "يوحى إلي". مناط التكريم والتفضيل؛ لأنه صلى الله عليه وسلم فضل البشر وارتقى عليهم بما منحه الله سبحانه وتعالى من الرسالة والنبوة، ومع ذلك، لا يخرجه هذا التكريم والتفضيل عن وصفه البشري. وكذلك ما يعتريه من بعض الأحوال أثناء تلقي الوحي واتصاله بالملأ الأعلى لا يرفع عنه صفة البشرية. وجماع الأمر فيه أنه بشر كملت أخلاقه، واكتملت صفاته، وكرمه الله تعالى على سائر الخلق بالرسالة، فكان سيد البشر أجمعين.**

**وصدق من قال:**

**فمبلغ العلم فيه أنه بشر = وأنه خير خلق الله كلهم**

**ولقد أردنا من هذا التقديم أن نجعله خلفيَّة ندحض من خلالها شبهات المضللين وأصحاب البدع والخرافات وأكاذيبهم، وما يروجون له من بدع وافتراءات وغلو ما أنزل الله به من سلطان.**

**من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم له محبة في القلوب لا تضارعها محبة، وهذه المحبة لا بد منها للمسلم؛ لأنه لا يكتمل إيمانه إلا بها، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين". متفق عليه.**

**ومن تلبيس إبليس على البعض غلوهم في هذا الحب، وابتداعهم أمورًا لا تخضع لمنطق العقل، مقتنعين أن ما يفعلونه من بدع، وما يبثونه من سموم بين عوام الناس يغيبون بها عقولهم من كمال حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فراحوا يعزفون على وتر حب العوام للنبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيمهم إياه، فعمُّوا عليهم كثيرًا من الأمور، وروَّجوا بينهم كثيرًا من الضلالات، قوامها المغالاة في هذا الحب، والمبالغة في إطراء النبي صلى الله عليه وسلم، فنسبوا إليه ما هو منه براء من مثل أن الرسول مخلوق من نور الله، وأنه ليس له ظل كسائر البشر، وأنه نور العرش، وأن الكون مخلوق لأجله.**

**إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة وجوب الصلاة والزكاة، فبها يكتمل إيمان العبد، وهي سبيل نيل الدرجات العلى، وهذه المحبة لا ينبغي أن تقود إلى الغلو والشطط، بل يجب أن يتحلى المؤمن في كل سلوكه بالوسطية والاعتدال، الذي هو من سمت الشريعة وخصائص الدين، فالوسطية هي السياج المنيع الذي يحفظ التوحيد من كل شائبة قد تشوبه، والغلو في كل الأمور سنة إبليسية، لا يفعلها إلا أصحاب الأوهام والظنون.**

**ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الغلو والتنطع، حتى ولو كان في شخصه صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يَسْتَهْويَنَّكُمُ الشيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللَّهُ عز وجل". رواه أحمد. وقال أيضًا: "لا تطروني أي: لا تمدحوني. كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله". رواه البخاري. لأن النصارى ما ضلوا وما حادوا عن الجادة، إلا بسبب غلوهم في إطراء عيسى ابن مريم عليه السلام، وقولهم فيه ما يهتز له عرش الرحمن، ومهما يعتذر مَنْ يغالون في النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يحبونه ويعظمونه لا نقبله؛ لأن صيانة التوحيد وحمايته ضرورة لا تقايض باعتذار، فما أُرسِلت الرسل إلا لنشر التوحيد وتبليغه، وليس من المعقول أن يُجعَل من الرسول أو النبي معولاً لهدم بنيانه الشامخ، أو تكدير نبعه الصافي.**

**طال الكلام، وامتد الحديث بنا، فماذا بعد؟**

**إن كل ما تقدم ما هو إلا بساط نمده بين يدي هذا الفصل؛ لنبحث السؤال الذي عنونَّا الفصل به، وهو: هل النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور، أو هو نور؟**

**نقول: إن للكون سننًا إلهية لا تتبدل ولا تتغير، تسري على كل عناصره، لا يند عنها شيء أو أحد مهما علا أو ارتقى، فالكل خاضع لهذه النواميس الإلهية المحكمة، هذا أولاً.**

**ثانيًا: إن الإيمان إذا اكتمل، فإنه يشيع في النفس إشراقًا وصفاء، ويملؤ القلب ضياء ونورًا، يفيض حتى ينعكس أثره على الوجه نورًا، ويكسب صاحبه القبول عند الناس، فيجعلهم يأنسون له حين لا يأنسون بغيره، ويستشعرون صلاحه حين لا يكون هناك أمارات للصلاح، غير هذا النور المعنوي الذي تستشفه النفس، ويلمسه القلب، فينشرح له الفؤاد، وتنقشع بسببه الظلمات التي شاعت في جوانب النفس.**

**والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي من يحقق كمال العبودية لله سبحانه وتعالى؛ لذلك فإنه معصوم منه سبحانه وتعالى، وله خصائص لا يشاركه فيها أحد من البشر، وهذه الخصائص من مظاهر تكريمه صلى الله عليه وسلم، وبمثابة دلائل على نبوته، وأمارات على صدق دعوته؛ مثل: حنين الجذع إليه، وتسبيح الحصى بين يديه، وتكليم الشاة المسمومة له، وتظليل الغمام إياه، كل ذلك منحة من الله تعالى له، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أكمل البشر إيمانًا وخلقًا؛ لذا فلا غرو أن يكون لهذا الإيمان الكامل نور يلف وجهه الكريم، يبصره الرائي ويستشعره، وقد قالوا: إن الوجوه مرآة القلوب، تتجلى فيها أمارات الصلاح، وتنعكس عليها آثار الطاعة والإيمان. فإذا كنا نلمس هذا مع عباد الله الصالحين، فما بالنا بالنبي صلى الله عليه وسلم؟!**

**هذا وقد يفهم البعض خطأً - إما بحسن نية أو بسوء فهم - أن هذا النور يرفع الظلام الحسي ويبدده، فهذا الفهم الخاطئ لا تقوم له حجة، ولا يستقر أمامه دليل؛ لأن لله تعالى في هذا الكون سننًا وقوانين لا تتبدل، وأسبابًا ومسببات لا تتحول، وما زعمه البعض من أن في القرآن دليلاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور، وهو قوله: "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم" [المائدة: 15، 16]، فكلمة النور التي جاءت هنا تطلق في القرآن الكريم تارة على القرآن، وتارة أخرى تطلق على النبي صلى الله عليه وسلم، على اعتبار أن كلاًّ منهما ينير للبشر طريق السعادة، ويرشدهم إلى سبل الخير، كما تطلق أيضًا على الحق سبحانه وتعالى، قال تعالى: "الله نور السموات والأرض" [النور: 35].**

**لذا قيل: إن النور هنا في هذه الآية هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو نور لمن اتبعه واقتدى به، نور باعتبار ما جاء به من الهداية والرشاد، يبدد ظلمات الشرك والضلال، ألم يقل الله تعالى: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" [البقرة: 257]. وهذا النور لا يجده إلا مَن خلع مِن عنقه ربقة الشيطان، وأضاء ظلمات نفسه باتباع هذا الدين، والاقتداء بهذا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.**

**يقول الطبري في تفسير هذه الآية: يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: "قد جاءكم". يا أهل التوراة والإنجيل "من الله نور"، يعني بالنور: محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله تعالى به الظلمات وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به إذ إنه يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق، تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب.**

**وقوله: "من الله نور". يقول جل ثناؤه: قد جاءكم من الله تعالى النور الذي أنار لكم به معالم الحقِّ. "وكتاب مبين"، يعني: كتابًا فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم؛ من توحيد الله تعالى، وتبيين الحلال والحرام وشرائع الدين، وهو القرآن الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يبين للناس جميع ما بهم الحاجةُ إليه من أمر دينهم، ويوضحه لهم، حتى يعرفوا حقَّه من باطله. تفسير الطبري، 2/ 183.**

**وقيل: إن المراد بهذا النور ما أرسله الله به من الوحي، مِن عطف الخاص على العام، لذا فوصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نور من نور الله، إن أريد به أنه نور ذاتي من نور الله، فهذا مخالفة صريحة لنص القرآن الذي يثبت بشريته، وإن أريد أنه نور باعتبار ما بعثه الله تعالى به من الوحي قرآنًا وسنة كانا سببًا في هداية من شاء الله من خلقه، فهذا صحيح لا مخالفة فيه؛ لأن نور الهداية والرشاد من الله سبحانه وتعالى يمنُّ به على من يشاء من عباده، قال تعالى: "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم. وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور" [الشورى: 51 - 53].**

**جاء في الظلال أنه: ليس أدق ولا أصدق ولا أدل على طبيعة هذا الكتاب - القرآن - وعلى طبيعة هذا المنهج - الإسلام - من أنه "نور". إنها حقيقة يجدها المؤمن في قلبه وفي كيانه وفي حياته، وفي رؤيته وتقديره للأشياء والأحداث والأشخاص، يجدها بمجرد أن يجد حقيقة الإيمان في قلبه. "نور" نور تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف، ويشرق به كل شيء أمامه، فيتضح ويتكشف ويستقيم؛ ثقلة الطين في كيانه، وظلمة التراب، وكثافة اللحم والدم، وعرامة الشهوة والنزوة، كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى.. تخف الثقلة، وتشرق الظلمة، وترق الكثافة، وترف العرامة، واللبس والغبش في الرؤية، والتأرجح والتردد في الخطوة، والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه. كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى، يتضح الهدف، ويستقيم الطريق إليه، وتستقيم النفس على الطريق. "نور وكتاب مبين". وصفان للشيء الواحد، لهذا الذي جاء به الرسول الكريم. في ظلال القرآن، 2/ 336.**

**ويقول الشيخ عطية صقر ردًّا على سؤال في هذا الموضوع: إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يُخلق من نور، فهو من ذرية آدم، وآدم من طين، وهو القائل: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر".**

**والله - سبحانه - أمره أن يُبيِّن للناس ذلك فقال: "قل إنما أنا بشر مثلكم" [الكهف: 110]. وقال: "سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولاً" [الإسراء: 93]. وكون اللَّه تعالى أخبر عنه بأنه نور، وكون بعض الآثار جاءت تخبر بأن نوره كان موجودًا قبل أن يُولد، كل ذلك لا ينفى أنه بشر، وهو - عليه الصلاة والسلام – ليس في حاجة إلى اختلاق أمور تزيده شرفًا وتكريمًا، فكفى تشريف اللَّه تعالى له فيما ثبت من الأخبار. وقد تحمِلُنا شدة حبه على وضعه فوق ما يستحق، وهو القائل كما رواه البخارى: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله". وبرهان حبنا له جاء في قوله: "من أحبني فَليَسْتَنَّ بسنتي". فتاوى الأزهر، المفتي الشيخ عطية صقر.**

**وجماع الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختصه الله بفضائل جمة، كلها تنبئ بمقامه عند ربه، ولو كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه مخلوق من نور، أو هو نور بالمعنى الحسي، لأخبر بذلك صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم، ولكن لم يرد ذلك، ولم يكتم النبي صلى الله عليه وسلم أمرًا يسمو به على سائر الأنبياء والمرسلين، فضلاً عن كونه معجزة. وليس معنى ذلك أننا نجرد الرسول من خاصية يكمل بها فضله، فالله سبحانه وتعالى هو الأعلم بقدر نبيه، ويعلم ما يرفعه ويسمو به، ولو كانت هذه الخاصية من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم لذكرها الله في كتابه، حتى ولو في معرض الامتنان على نبيه، ولكن الحق - جل وعلا - حين امتنَّ على نبيه، وصفه بأحب الأوصاف، التي هي في الحقيقة أعلى درجات التكريم والتشريف، وهي صفة العبودية، فقال تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" [الإسراء: 1].**

**ويتصل بتلك الفرية التي أسهبنا في الرد عليها فرية أخرى، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الظلام كما يرى في النور، أو يرى بالليل كما يرى بالنهار، استنادًا إلى حديث مروي عن عائشة يقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الظلماء كما يرى في النور، جاء في المواهب اللدنية للقسطلانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء. رواه البخارى. وروى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء كما يرى في الضوء.**

**يقول الزرقاني في شرحه معلِّقًا على إسناد الحديث للبخاري: لم أجده فيه، وإنما عزاه السيوطي وغيره للبيهقي في الدلائل، وقال: إنه حسن. قال شارحه: ولعله - أي الحكم بالحسن - لاعتقاده، وإلا فقد قال السهيلي: ليس بقوي. ونقل ابن دحية تضعيفه في كتاب "الآيات البينات" عن ابن بشكوال؛ لأن في سنده ضعفًا، فكيف يكون في البخاري؟!**

**وحديث البيهقي رواه أيضًا ابن عدي، وبقي بن مخلد كما في الشفاء، وضعفه ابن الجوزي والذهبي. لكنه يعتضد بشواهده، فهو حسن كما قال السيوطي. المواهب اللدنية 4/ 83.**

**وخلاصة ما قاله الزرقاني أن الأحاديث التي يُستدل بها على أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في الظلام كالنهار، سندها ضعيف أو حسن. وذكر الزرقاني أنه صلى الله عليه وسلم قام ليلة فوطئ على زينب بنت أم سلمة بقدمه وهي نائمة، فبكت، وقد يكون ذلك لبيان أن رؤيته في الليل كالنهار ليست في كل الأحوال.**

## خُلقُ النبي صلى الله عليه وسلم في سطور

**سواء قلَّت السطور هنا أم كثرت، فإنها ستقف عاجزة عن توفية الرسول صلى الله عليه وسلم حقَّه، وسواء أحاط البشر بقدره أم لم يحيطوا به، فإن ذلك لن ينقص من قدره شيئًا، فهو عندنا بالمقام الأسمى، والمنزلة الأرفع بقدر علمنا به، وهو عند ربه تعالى فوق ذلك كله بقدر علمه به.**

**وإذا كان هناك شرذمة قليلة لم تكلف نفسها معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم حق المعرفة قبل أن تكيل له الاتهامات، وتثير حوله الشُّبَه والافتراءات، فإن هذه الحثالة البشرية ليست بِمَن يُؤبه بها، إن مثلهم كمثل مَنْ وضع الماء ملء فيه ورفع رأسه ليطفئ نور الشمس، فماذا كان حاله غير أن الماء ارتد عليه، فهؤلاء قبل أن يطلقوا سهام الطعن من الغيظ والكراهية ترتد إلى نحورهم خائبة خاسرة، ولن ينتقص هؤلاء من قدر النبي صلى الله عليه وسلم إلا بمقدار ما ينتقص الأصبع من ماء البحار.**

**سنسجل هنا عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ما يمليه علينا المقام، من غير فضول ولا تقصير في المراد؛ إذ الفضول في القول يبعث أحيانًا على الملل، بيد أنه هنا لا ملال فيه ولا كلال؛ لأنه غيض مِن فيض، والتقصير لا يليق بقدر من نتحدث عنه، وبين هذا وذاك تنال الكلمات الشرف الرفيع حين تنتظم انتظامًا لتطاول النجم في ذراه، فإني عجزتْ أشارت إليه في سراه.**

**كانت أخلاقه - عليه الصلاة والسلام - غير متكلَّفة؛ لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً، بل يرجع إلى الطبع، وهذا ما أكسبها عظمة وجلالاً. قالوا: إن الخلق ملكة نفسانية، يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة، والإتيان بالأفعال الجميلة شيء، وسهولة الإتيان بها شيء آخر، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق.**

**فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلف شيئًا من الفضائل أصلاً، ثم إن اجتماع الفضائل في شخص واحد مع عدم التكلف أمر خارق للعادة؛ لأن الإنسان مخلوقة فيه شهوات، لا يمكن أن يردها إلى حد الاعتدال من غير إفراط أو تفريط، إلا إذا عوَّد نفسه سنين عديدة واجتهد، وقد لا يستطع.**

**والعاقل إذا شعر بنقيصة فيه، وأراد محاربتها ومحوها بالتعود وقوة الإرادة، كان لا بد من مرور زمن طويل، حتى تزول وتنمحي، وهو في أثناء محاربتها عرضة لأن تظهر عليه تلك النقيصة أو آثارها من حين لآخر، وبالرغم منه، وعند ذلك يلاحظها الناس فيه، فإن كان رجلاً عظيمًا أثبتوها عليه في تاريخ حياته، فيقولون مثلاً: كان بخيلاً ثم اعتاد السخاء، أو جبانًا فتشجع بمعاشرة الشجعان، والاقتداء بهم.. إلخ.**

**ولم نرَ إنسانًا له نقيصة واحدة فقط، مع كثرة تجاربنا ومعاشرتنا الناس، نعم قد يتوهم كل إنسان أنه كامل لا عيب فيه ولا نقص؛ لأن العين لا ترى نفسها إلا بطريق المرآة، ومرآة الإنسان أصدقاؤه وخلانه ومعاشروه، ثم إن اعتقاد المرء بكماله وتنزهه عن القبائح والرذائل يمنعه من الاطلاع على عيوبه وهفواته وسقطاته وإن كانت كثيرة، ولو أنه سمع رأي الناس فيه، وإن كانوا أقل منه منزلة، لتبين له كثير من المساوئ التي كانت خافية عليه، بسبب اعتقاده الكمال في نفسه.**

**نقول ذلك؛ إذ قد يعترض علينا أحد فيقول: إنك لم ترَ إنسانًا له نقيصة واحدة فقط، مع أني لا أذكر لنفسي عيوبًا تؤخذ عليَّ، وكل الناس يمدحونني ويوقِّرونني. فهذا القول إنما هو ادعاء رجل محجوب أعمى، فالأولى أن يسأل عن عيوبه؛ حتى يهتدي إليها فيصلحها، قال أبو بكر الصديق - وهو ممن لا يخفى على أحد علمه وفضله وصدقه وإخلاصه وتقواه: رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي".**

**يعني أن له عيوبًا يريد الاهتداء إليها. والناس الآن قد بلغ بهم الغرور والكبر والزهو، ما جرَّأهم على القول بتنزههم عن المعايب؛ لذلك حُرِموا من إصلاح أنفسهم.**

**والخلوُّ من المعايب، واجتماع الفضائل في شخص فرد من المستحيلات، إلا إذا خُلِق الإنسان معتدل المزاج، معتدل الشهوات، صحيح الجسم، صحيح العقل، قوي الأعصاب، من نسل سليم، ليس له وراثة مرضية، خاليًا من مطامع المادة، ومثل هذا الشخص لم يوجد.**

**أما اعتقاد الإنسان الكمال في نفسه، فهذا مِن حبه ذاته، ومَن أحب ذاته أحب كمال ذاته، وأحب أن يوصف بصفات الكمال، وهذه غريزة تظهر في الأطفال، فإنك إذا مدحت طفلاً صغيرًا بما يفهم، ظهرت على ملامحه سيماء السرور، فإذا كان قبيح المنظر ووصفته بالجمال أمَّن على كلامك وابتسم. وقد سأل شاعر عن رجل خالٍ من كل عيب؛ لأنه لم يجد إنسانًا كاملاً:**

**مَن ذا الذي ما ساء قط = ومَن له الحسنى فقط**

**فسمع هاتفًا يقول:**

**محمد الهادي الذي = عليه جبريل هبط**

**وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:**

**خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء موسوعة "الرسول والخلفاء الراشدون"، محمد رضا، مج5، نوبليس.**

**ذاك هو النبي صلى الله عليه وسلم، لا يشبهه في أخلاقه وكريم صفاته أحدٌ، مهما كرم محتده، أو علا بين العالمين كعبه. وحسبه صلى الله عليه وسلم ثناء ربه سبحانه وتعالى عليه، حين قال: "وإنك لعلى خلق عظيم" [القلم: 4]. ذاك هو النبي صلى الله عليه وسلم، إن حدثت عن أخلاقه فإنك تحدث عن عظيم، ليس له في العظماء مثيل، وإن أسرتك شيمته وخلقه، فإنك بين يدي رؤوف رحيم، ليس له في العالمين شبيه أو نظير. وإن بحثت عنه بين الشجعان، وجدته جريء الصدر والمقدم، صادق البأس، رابط الجأش، ثابت الجنان، شديد الحملة، ابن كريهة، خوَّاض مغوار. وإن لمحت سناه بين الكرماء، فقد لاقيت رجلاً رحب الباع، خصيب الجناب، معطاء فيَّاضا، سخيًّا جوادا، ليس هناك يد أسخى من يده، ولا كفٌّ أبسط من كفه. وإن أكبرته، فإنك تكبره حيي الطبع، رقيق الوجه، محتشم النفس. وإن عظمته، فإنك تعظمه جليل القدر، فخيم الشأن، عريض الجاه، عالي الكعب. وإن وقرته، فإنك توقره خافض الجناح، واسع الكنف، عطوف رؤوف، رقيق رفيق. وإن ألفيته معرضًا عن الدنيا وزينتها، فإنك تلفاه رضي النفس، قانعًا بالكفاف، راغبًا عن الثراء، زاهدًا في الغنى، اكتفى بقسمة القدر. وإن جذبتك قصص الصابرين المحتسبين، فحسبك مَن لا يلين جنبه لنائبة من نوائب الدهر، ولا يهتز لعادية من عوادي الزمان، ويصبر على ما نابه فلا تنال من صبره الملمات. لم يُرَ أقوى منه جَلَدًا على محنة، ولا أثبت جأشًا على نازلة. وإن جلست تحدث الأجيال عن صادق أمين، فدونك مَن كان صادقًا قبل أن يُختبر صدقه، وأمينًا قبل أن تُمتحن أمانته. وإن أردت مدحًا، فقف في إجلال وإكبار وإعظام للنبي الهادي صلى الله عليه وسلم، وقل:**

**مَن زار بابك لم تبرح جوارحه = تَرْوِي أحاديث ما أوليت من منن**

**فالعين عن قرَّة والكف عن صلة = والقلب عن جابر والسمع عن حسن**

## الختام

**وفي الختام، ولَمَّا ينضب بعد معين الكلام، أجدني أنا والقارئ بين طمع ورجاء؛ طمع في أن يمنَّ الله سبحانه وتعالى علينا برؤية حبيبه صلى الله عليه وسلم، وأن يجمعنا به في جنات النعيم، ورجاء أن يعزر المسلمون نبيهم وينصروه، ويقفوا للحملة الشعواء التي يشنها الحاقدون عليه صلى الله عليه وسلم.**

**وإني على يقين بأن مَن يُقدَّر له أن يمسك بين يديه دفتي هذا الكتاب، سوف تسلمه كلُّ صفحة إلى أختها في متعة لا تدانيها متعة، متمنيًا ألا تنتهي الكلمات، أو تنفد السطور والصفحات. وعسانا أن نكون وفينا حبيبنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بعض حقه علينا، وما أَعْجَزَنا عن ذلك! ولأننا قصرنا، فهذا اعتذارنا نقدمه إليه صلى الله عليه وسلم في نهاية هذه السطور:**

**عذرًا رسول الله إن قصرت في = وصف فإن جمالكم لن يوصفا**

**والله لو قُبِرَ النبي تفجرت = أنواره للبدر ولَّى واختفى**

**والله لو قلم الزمان من البدا = ية للنهاية ظل يكتب ما كفى**

**يكفيه لُقْيًا في السماوات العلى = وبحضرة الرب الجليل تشرفا**

**يكفيه أن البدر يُخسَف نوره = وبأن نور محمد لن يُخْسَفا**

## المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم.**
2. **تفسير الطبري.**
3. **في ظلال القرآن.**
4. **صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، القاهرة.**
5. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان.**
6. **سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الباز، مكة المكرمة.**
7. **سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد شعيب بن علي النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.**
8. **السنن الكبرى للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.**
9. **مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، 1373ه.**
10. **موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة.**
11. **سنن ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.**
12. **الشمائل المحمدية للترمذي.**
13. **إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي، دار الكتب العلمية.**
14. **الجامع لأوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، ابن العاقولي، المكتب الثقافي.**
15. **فتاوى الأزهر.**
16. **نصوص من صدر الإسلام، د. محمود الرضواني، دار الهاني، 1425- 2004م.**
17. **تحفة الأحوذي.**
18. **فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى 1356ه.**
19. **ربيع الأبرار، الزمخشري.**
20. **موسوعة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون، محمد رضا، نوبليس بيروت.**
21. **نور اليقين في سيرة خير المرسلين، الشيخ محمد الخضري.**

**الفهرس**

[الإهداء 2](#_Toc462221340)

[المقدمة 3](#_Toc462221341)

[القطرة الأولى: وصف أم مَعْبَد: 7](#_Toc462221342)

[القطرة الثانية: وصف هند بن أبي هالة: 11](#_Toc462221343)

[القطرة الثالثة: وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه: 17](#_Toc462221344)

[النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن نفسه: 19](#_Toc462221345)

[نسب النبي صلى الله عليه وسلم: 20](#_Toc462221346)

[كنيته: 20](#_Toc462221347)

[أسماؤه: 21](#_Toc462221348)

[فضائله: 24](#_Toc462221349)

[مرضعاته: 26](#_Toc462221350)

[زوجاته: 26](#_Toc462221351)

[أولاده صلى الله عليه وسلم: 29](#_Toc462221352)

[سراريه صلى الله عليه وسلم: 30](#_Toc462221353)

[مواليه صلى الله عليه وسلم: 30](#_Toc462221354)

[خُدَّامه: 31](#_Toc462221355)

[مؤذنوه صلى الله عليه وسلم: 33](#_Toc462221356)

[كُتَّابه صلى الله عليه وسلم: 33](#_Toc462221357)

[شعراؤه وخطباؤه صلى الله عليه وسلم: 34](#_Toc462221358)

[أمراؤه صلى الله عليه وسلم: 35](#_Toc462221359)

[وصف النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وليس كما صوَّرُوه 36](#_Toc462221360)

[موضع الخاتم: 57](#_Toc462221361)

[وصف متعلقات النبي صلى الله عليه وسلم 85](#_Toc462221362)

[خُلقُ النبي صلى الله عليه وسلم في سطور 107](#_Toc462221363)

[الختام 109](#_Toc462221364)

[المصادر والمراجع 110](#_Toc462221365)